المؤرخ السوداني

مجلة الجمعية التاريخية السودانية

العدد التاسع ٢٠٢٥م

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ.د. يوسف فضل حسن

رئيس التحرير

أ.د. ميمونة مرغني حمزة

سكرتير التحرير

د. جعفر محمد دياب

المحـــررون:

أ.د. معتصم أحمد الحاج

أ.د. السر سيد أحمد العراقي

أ.د. عبد القادر عثمان جاد الرب

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد

موجهات النشر:

ترحب "المؤرخ السوداني" بإسهامات المشتغلين بالتاريخ والعلوم ذات الصلة والمهتمين بقضايا التاريخ بشكل عام وتضع التوجهات التالية:

١. الأصالة في اختيار موضوع الورقة وألا يكون قد سبق نشره في دورية علمية أو نشر ضمن مداولات مؤتمر علمي.

٢. التزام الورقة بالمنهج العلمي في العرض والأسلوب والتوثيق.

٣. وضع الإحالات في نهاية الورقة

٤. توثق المصادر والمراجع العربية الحديثة (بعد القرن التاسع عشر) بوضع اسم المؤلف ولا يستخدم اسم العائلة إذا كان هناك صعوبة في معرفة اسم العائلة في الأسماء العربية الحديثة ولهذا يوثق اسم المؤلف كما جاء في غلاف المرجع، مثال: يوسف فضل حسن.

٥. المصادر العربية قبل القرن الثامن عشر يوثق المصدر باسم العائلة ثم الاسم الشخصي مثال الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.

٦ المصادر الأجنبية توثق باسم العائلة ثم الاسم الشخصي، مثال: Holt, Peter William

7. اللغة العربية لغة الدورية لكن يمكن قبول مساهمات بلغات أخرى.

٨. الالتزام بعرض الموضوع بمقدمة تحتوي على أهمية الموضوع والهدف من دراسته ووضع عناوين فرعية وخاتمة توضح أهم النتائج وتوصيات.

٩. الالتزام بمطابقة العنوان مع المحتوي ليكون العنوان واضحاً على ألا تقل كلماته عن ثلاث كلمات ولا يزيد عن أحد عشر كلمة وعدم استخدام تعابير تقييمية.

١٠. يكتب البحث بواسطة برنامج "ميكروسوفت ويرد" إذا كانت لغته العربية حجم الخط (١٤). في حالة لغة البحث غير العربية يستخدم Times New Roman.

١١. يوضع في مقدمة الورقة مستخلص باللغة الإنجليزية إذا كانت لغة البحث العربية وبالعربية إذا كان البحث بغيرها في حدود ٢٠٠ كلمة.

١٢. يكون حجم الورقة في حدود ٦٠٠٠ كلمة (٣٠ صفحة A 4).

١٣. ترحب المجلة بعرض إصدارات جديدة في التاريخ أو موضوعات ذات الصلة.

١٤. تجاز الورقة بواسطة محكمين من ذوي الاختصاص.

١٥. الأولوية للنشر للأوراق حسب وصول تقارير المحكمين.

Contact: Maymounahamza 2015 @ gmail.com. dahliakarar7@ gmail.com

محتويات العـــدد

الموضوع	الكاتب	صفحة
هيئة التحرير		ب
موجهات النشر		ج
محتويات العدد		د
كلمة العدد		هـ
		و
التأليف التاريخي من الرواية إلى الموثوقية العلمية السودان نموذجاً	أ.د ميمونة مرغني حمزة	١
تجربة الحكومات الانتقالية في السودان ١٩٥٤م - ١٩٨٦م	د. هاشم بابكر محمد أحمد و د. حسن عوض الكريم علي أحمد	٣١
المآتم في السودان	د سلوي عبد المجيد احمد المشلي	٦٣
قضية لاقارد (Lagarde) أوهام الصداقة الفرنسية المهدية	د. السر الأمين حامد محمد	٩٠
الأصداء العالمية للثورة المهدية - دار المصورات للطباعة والنشر ٢٠١٩م	د. محمد المصطفى موسى	٩٧
السودان ٢٠٢٥ م تقويم المسار وحلم المستقبل - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة	تأليف: أ. د. كامل إدريس عرض: أ. د. عبد العزيز محمد موسى	١٠٦

كلمة العـــدد

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه وبنعمته تتم الصالحات

قراء "المؤرخ السوداني" نقدم لكم العدد التاسع والسودان ما زال يعاني من هذه المحنة ولا سبيل للخروج منها إلا بالإكثار من الدعاء. وإذا كان هناك مكسب مما حدث فهو إفاقة السودانيين لضرورة العض بالنواجذ لحماية البلاد إذ أن ما تتمتع به من موقع استراتيجي وما حباها لها بهم من نعم ثبت أنها مطلع القاصي والداني.

حمل هذا العدد موضوعات متنوعة: الأوراق العلمية ووجه نظر أجانب عن المهدية وإصدارات تاريخية.

نتوقع مساهمتكم المتنوعة ونفيدكم أن "المؤرخ السوداني" هي الآن مفهرسة في قاعدة بيانات "سكوبس" Scopus.

والله ولي التوفيق

أسرة المجلة

التأليف التاريخي من الرواية إلى الموثوقية العلمية السودان نموذجا

ميمونة مرغني حمزة(•)

تتعرض الورقة الي اي مدي تفاعل التأليف التاريخي مع التطورات التي دخلت على الكتابة التاريخية في مناطق مختلفة من العالم والسودان بشكل خاص واهمها استخدام مصادر موثوق بها والتعرف على المتغيرات التي نتجت عن وقائع التاريخ.

ABSTRACT

The Writing of History from an Episode to a Scientific Version

The paper aims to through light on how the writing of History changed through the ages which generated a new role of historical knowledge, it is no longer a record of events but this knowledge is a crucial factor in revealing the progress witnessed by all sectors of society as no field can reveal. Events of the past form the raw material which the historian analyzes in order to detect changes. Gradually an analytical approach was introduced in order to ascertain credibility of the events. The historian has to ask questions: what -who-when – where and why. Historical events are tied to each other like a flowing river and according to Historical Relativism each event has a cause and effect.

المستخلص

تهدف الورقة إلى إلقاء الضوء على المتغيرات التي شهدها التأليف التاريخي على مر الزمان وكيف أفرز هذا دوراً وظيفياً للمعرفة التاريخية إذ لم تعد هذه سجل ومعرفة لأحداث فقط بل أصبحت العامل الأساسي الذي يرصد المتغيرات في كافة قطاعات المجتمع كما لا تكشفها أي آلية أخرى وأحداث الماضي هي المادة الخام التي يحللها المؤرخ لمعرفة المتغيرات. عبر التفسير والتحليل من أجل إثبات صحة الوقائع وصدقتها فهو يضع أسئلة" ماذا - ومن ومتي واين ولماذا لأن الأحداث التاريخية مرتبطة ببعضها البعض مثل النهر الجاري وحسن النظرية النسبية التاريخية لكل حدث سبب ونتيجة.

استهلال

اهتم الإنسان بالوقائع والأحداث منذ بدء الخليقة ووجد نفسه يعيش في مجتمع وله مسكن ووسائل لكسب عيشه وبدأ يحس بحركة تغيير عندما اكتشف النار وعرف

(•) أستاذ التاريخ الحديث كلية الآداب جامعة النيلين

الزراعة فصنع أدوات للأكل والشرب والزينة وفلاحة الأرض لنفسه أدوات لتلبية هذه المتطلبات واصبحت هذه مصدرا للمعلومات في الأزمان الموغلة في القدم. هذه النمط من الحياة وجد في كل المجتمعات إلا أن تدريجياً بدأ التغيير فجاء الانتقال إلى خطوة متقدمة عند معرفة المعادن واستخدامها وتوفير الغذاء وبناء المسكن الذي يوفر له الحماية.

دخل الإنسان مرحلة أخرى عندما لم يعد مشغولا بقوته وكيفية تامين نفسه وأصبح له متسعا من الوقت للتأمل والتفكير ومغزي الوجود اصلاً. بدأ يبني المعابد والقصور ويضع عليها ر. سوم ونقوش وبدأ تظهر طقوس مرتبطة بالآلهة والحكام علما أن موطن الإنسان الجغرافي كان محدودا لم يتعدى ما عرف "العالم القديم" عبارة عن أوروبا وحوض البحر الابيض المتوسط إضافة إلى مواقع في آسيا وشمال افريقيا.

ومن هذه بدأ المؤرخون البحث عن الحضارات القديمة استنادا على مخلفات الإنسان التي شكلت المصادر المادية لهذه الحضارة. تبع هذا ظهور نوع من الكتابة فظهرت في منطقة ما بين النهرين التي استخدمت اللغة المسمارية التي تنقش في الواح طينية وقد استخدمت في تدون "قانون حمورابي" وفي مصر استخدمت أشكال ورسومات عرفت بالهيروغليفية. وقد انتقلت وسائل التدوين هذه إلى منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط عبر التجار فعرفها الإغريق والرومان.

وينظر إلى العهد القديم "التوراة" الذي يضم أسفار سيدنا موسى الخمسة وأسفار يشوع وصمويل بأنها أقدم كتب تاريخية عرفها العالم الأوربي. ثم جاء العصر الملحمي (عصر هوميروس) إشارة إلى الملحمة الشعرية المعروفة بـ "الإلياذة والأودسا" من تأليف الشاعر هوميروس القرن التاسع -الثامن ق.م وهي نص شعري لكنها احتوت على معلومات تاريخية، كما ظهرت مدونات عند الأشوريين والبابليين وجنوب الجزيرة العربية وفي مصر. وقد ظهرت معلومات شحيحة عن منطقة النوبة في المدونات الآثارية للفراعنة وأن جاء الإشارة لها بـ "إثيوبيا" (٢).

لأسباب مختلفة فإن مسيرة التطور في الكتابة التاريخية بدأت في العالم الاوربي اساسا بسبب ما توفر من مصادر رصدت ما حدث من متغيرات في الحقبة التي عرفت بـ "الكلاسيكية في أوروبا" "الإمبراطورية الإغريقية والرومانية" ظهرت اول مدونة وضعها هاكيتوس ٥٤٦ ق مHecateus وهو ما اعتبر أول مؤلف تاريخي اشار إلى كيفية الحصول على معلوماته فكتب "أنني أدون ما أرى أنه حقيقة لأن الأشياء التي يرويها

الشعراء في رأيي مليئة بالمتناقضات" (٣) وقد اشتهر بعده هيرودوتس Herodotus ٤٤٨-٤٥٢ ق.م الذي تجول لعدة سنوات في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط وتأثر بمظاهر الحضارة فيها فوضع كتابا عن الشعوب وتقاليدها والحكام ومظاهر الحياة وأشار إلى أنه حصل على المعلومات من مشاهداته وما سمعه من آخرين لكنه استبعد ما لا يمكن أن يقبله العقل والمنطق (٤) وقد أطلق المؤرخ "سيسرو" اسم "التواريخ" علي ما دونه هيرودوت.

وضع هيرودوتس المنهج الذي سار عليه مؤرخو الإغريق مثل هيباس وثيوسيدس Hippas , Thucidas

وهو تسجيل ما شاهدوه وما سمعوه من رواة. وكذلك المؤرخون الرومان من بوليبيوس وحتى يوليوس قيصر Bolibius, J Caesar كانت مدوناتهم ما سمعوه وشاهدوه وأن سجلوا مظاهر الحياة مثل الألعاب الأولمبية والحروب التي اشتركوا فيها (٥).

أما إفريقيا فاعتبرها الأوربيون أنها بلا تاريخ لأنها لم تعرف التدوين والمشاهدة والملاحظة لا تقدم معلومة موثوقة وهو المفهوم الذي أورده هيجل في كتابه "فلسفة التاريخ" (٦). ورغم الاعتراف بوجود مجتمعات وثقافة كشفتها المصادر المادية لكنهم اعتبروا أن هذه تهم الآثاريون وأن تاريخ إفريقيا يبدأ بوصول الأوروبيون(٧).

وفي مصر وجدت مدونة للكاهن "منثون" الذي عاش في عصر بطلميوس الأول في القرن الثالث ق.م ودون تاريخ قدماء المصريين استنادا على مخطوطات وضعها رحالة إغريق ورمان بمن فيهم هيرودوت. وفيما بين النهرين "العراق" Mesopotania وجدت مدونة للكاهن "برسيو" عن تاريخ بابل معتمدا على مدونات إغريقية ووجد قانون حمورابي مدونا في الواح طينية. وحدث تطور في التأليف التاريخي بعد اختراع الكتابة (٨) واستخدام الورق*.

ما عرف عن النوبة حتى الفي سنة قبل الميلاد ارتبط بما دون عن تاريخ الفراعنة باللغة "الهيروغليفية" *، أول إشارة للنوبة في مدونة لبليني في القرن الأخير قبل الميلاد معتمدا على معلومات آثارية(٩) كما دون ديودورس الصقلي عن علاقة مصر ببلاد العرب.

أما المصادر العربية فأول معلومة عن السودان ظهرت في القرن الأول الميلادي إذ أشار عبد الرحمن بن خلدون عن دخول العرب وقبيلتي بيلي وجهينة وأن العرب اشتركوا مع المماليك في غزو النوبة وهي رواية نقضها البعض(١٠).

دمر اجتياح القبائل الجرمانية الحضارة الكلاسيكية بما فيه التأليف التاريخي ما بين القرن الرابع الميلادي حتى الحادي عشر وقد تزامن مع هذا وصول المسيحية من الشرق إلى أوربا تزامن معها التغيير السياسي عندما نقل الإمبراطور قسطنطين العاصمة إلى الشرق بعيدا عن خطر الجرمان. اعترف قسطنطين بالمسيحية وغدت الديانة الرسمية للإمبراطورية التي أخذت اسم "البيزنطية".

أثر انتشار المسيحية على التأليف التاريخي عندما سيطر رجال الدين على التعليم وحاولوا إلغاء التاريخ لكيلا تعود الثقافة الوثنية إلا أنهم رأوا أن هناك حاجة للتاريخ للترويج للمسيحية والتعريف بمفاهيمها وسير الحواريين (١١) أصبح التأليف عبارة عن سجل لكرامات ومعجزات القديسين مختلطة بالخرافات والأساطير حتى القرن الحادي عشر بل تم استخدام التاريخ لأغراض خاصة عندما قام البابوات بتزوير ما عرف بـ"هبة قسطنطين"* لكسب الصراع مع الإمبراطور الروماني المقدس في القرن التاسع.

وبعد ستة قرون كشف المؤرخ لورنزو فالا أن الوثيقة مزورة.

كتب سان أغستين (٤٣٠) كتاب "مدينة الله" وصور أحداث التاريخ بأنها صراع بين مدينة الله التي أسسها الملائكة وهي دائمة ومدينة أرضية أسسها الشيطان وهي عابرة (١٣).

ظلت الكتابة عن النوبة مرتبطة بالمدونات الفرعونية. ويعتقد أن هناك حقبة غامضة في تاريخ السودان القديم لم تذكر المصادر المكتوبة أو الاثارية شيئاً عنها وهي ممتدة من خروج المصريين من النوبة في ١٠٨٥ ق.م وحتى ٣٠٠ ق.م (١٤).

لم يظهر اسم النوبة في المدونات حتى دخول المسيحية فجاء رجال الدين برعاية الإمبراطور جستنيان وتأسست الممالك المسيحية الثلاثة: نوباديا والمقرة وعلوة وظهرت عنها مدونات للقساوسة.

مع انتشار الإسلام وفتح مصرفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب توفرت معلومات عن النوبة في مدونات رحالة وعابرين ربما كان اهتمامهم بالتجارة فاستقوا المعلومات منهم. من هؤلاء أبو القاسم عبد الله بن خردذابة فدون معلومات جغرافية وتاريخية وعبد الرحمن بن عبد الحكم أشار إلى اتفاقية البقط في كتابه "فتوح مصر واخبارها" ودون أحمد بن يعقوب البلاذري معلومة عن استقرار المسلمين في النوبة في كتاب "فتوح البلدان" (١٥) وقد أشار إلى واقعة هروب أبناء مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وقد ذكر مكي شبيكة الواقعة دون الإشارة إلى مصدرها لكن اعتقد أنها صحيحة بوجود مسجد في سنكات ومقابر في الطريق إلى ارتريا (١٦). ويبدو أن التفسير الذي راج فيما بعد

عن الاصل الأموي للفونج استنادا على دخولهم المنطقة من الشرق، علما أن هناك أكثر من ٧٥٠ عاما بين سقوط دولة بني امية وظهور سلطنة الفونج. أورد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وأبو الحسن بن علي المسعودي معلومات عن هجرة المسلمين إلى النوبة وزيارتهم إلى مناجم الذهب. خلال كل هذه الحقب لم يعثر على أي محاولات تدوين من سكان البلاد وكل ما عثر عليه من مصادر مادية في الحفريات لم تعرف إلا في أول القرن العشرين بجهد بعثات أجنبية.

جاء "عصر النهضة" (١٤٠٠-١٦٠٠) بالانفتاح والازدهار في كافة ضروب المعرفة*. بدأ استخدام العلم في نشاط الإنسان مثل الهندسة في تصميم المباني والبحث في جسم الإنسان والدورة الدموية واستخدام نيوتن العمليات الحسابية وتأثر بهذا التطور التأليف التاريخي إذ عادت له "إنسانيته" وهي إحدى الصفات التي يجب أن تتحلى بها الكتابة التاريخية (١٧).

وفي عصر التنوير (ما بين السابع عشر والثامن عشر) تبلورت فكرة أهمية التدقيق في الأحداث بمعنى التأكد أن ما يروى هو ما حدث بالضبط وقد تبنى النظرية "ليوناردو بورني ١٣٧٠- ١٤٤٤ وفرانسسكو جورديانى". حدث أول تطور مهم في كتابة التاريخ عندما أصدر الإيطالي "جوفيني فيكو" كتانا بعنوان "أصول علم جديد" وهو يعني التاريخ (١٨) ربما بتأثير من أحداث وقعت مثل الاكتشافات في العلوم الطبيعية والكشوف الجغرافية واشار فيكو إلى ضرورة التخلص من كتابة التاريخ اعتماداً على الروايات الشفوية وهي النظرية التي أشار لها عبد الرحمن بن خلدون سابقاً.

في القرن الثامن عشر تصاعد اهتمام الفلاسفة بالتاريخ وكيفية كتابته وضرورة اخضاع الأحداث للتفسير والتحليل لأن هذه العملية تكشف لنا المتغيرات التي أفرزتها الأحداث وهذا هو جوهر الكتابة التاريخية.

انتقد جان مورية فولتير(فيلسوف فرنسي) ١٧٧٨ مفهوم التاريخ الذي يعني سير الحكام وحروبهم فقط بل؛ يجب أن يكتب المؤرخ عن كل مناحي المجتمع أي كل ما انتجه العقل البشري وانتقد تقسيم التاريخ إلى حقب لأنها استندت على أدلة خاطئة ويجب ان يكون معيار الفواصل أحداث نتجت عنها متغيرات معروفة وحقائق مؤكدة وقد طبق الفكرة في كتابه "عصر لويس الرابع عشر" الذي شدد فيه على ضرورة أن يغوص الباحث في الأعماق ليصل إلى الحقيقة بمعنى إثبات مصدر كل معلومة حصل عليها لأن إثبات المصدر هو ما يميز الحق عن الباطل (١٩) لكن ظل التركيز على التاريخ السياسي

والاعتماد على النقل دون التقصي والتحليل ودون محاولة لإثبات الحقيقة حتى راجت مقولة إن التاريخ لا يعيد نفسه لكن المؤرخون يعيدون أنفسهم.

ساند المؤرخ البريطاني ديفيد هيوم ١٧١٨-١٧٧٨ التاريخ السياسي فألف "تاريخ بريطانيا" من ست مجلدات بالتركيز على الملوك والبرلمانات وقد انتقده معاصريه بشدة لأنه وضع تراجم لكبار العلماء مثل فرانسيس بيكون واسحق نيوتن في الهامش فقط (٢٠).

تجدد الجدل حول التاريخ السياسي من مؤرخي الثورة الفرنسية (١٧٨٩) وجه "شاتوبريان" اللوم للمؤرخين بسبب اعتبار التاريخ هو انجازات الملوك والحكام، فإذا كان المؤرخ مثل المسافر عليه أن يسجل كل ما شاهده فيكتب عن الاقتصاد والعلوم والفنون إلا أن "كارلايل" اتخذ موقفاً معارضاً معتبراً أن التاريخ يكتبه عظماء الرجال من السياسيين ويجب أن تسجل انجازاتهم لكي يكونوا قدوة تحتذى بها الأجيال (٢١).

إلا أن التطور المهم الذي استفاد منه التأليف التاريخي هو ما شهدته أوروبا بقيام الدول القومية في القرن التاسع عشر*.

بدأت الدول تبحث عن المخطوطات والوثائق لدعم مكانتها عندما اشتد التنافس بينها وتأسست دور الأرشيف وتعيين مؤرخين رسمين للدولة وجمعت مادة ضخمة لتستخدم في كتابة التاريخ بقيادة الجامعات الألمانية على رأسها جامعة جوتنجن فدعا "ليبولد فون رانكا" ١٧٩٥-١٨٨٦ إلى أن التاريخ يجب أن يصور الواقع كما حدث مما يستدعي اللجوء للوثائق والمادة الأرشيفية وطبق هذا في كتابه "تاريخ الشعوب اللاتينية والتيوتونية " استمد مادته من قدر هائل من النصوص مثل: المراسلات والتقارير والاتفاقيات بصورة لم تظهر من قبل في أي مؤلف تاريخي سابقاً. فأصبح للمصادر أهمية قصوى وتراجع بشكل كبير اللجوء إلى الملاحظة والمشاهدة (٢٢).

في السودان توفرت معلومات عندما جاء عدد من الرحالة والجغرافيين المسلمين إلى المنطقة التي عرفها يوسف فضل حسن "سودان وادي النيل" (٢٣) ما بين القرن الحادي عشر والرابع عشر ودونوا معلومات عن مشاهداتهم خاصة الموانئ إذ أغلبهم قام بالرحلة من أجل أداء فريضة الحج.

١. اشتهر خمسة منهم: ابن حوقل وابن سليم الأسواني وناصر خسرو وابن جبير وابن بطوطة. بدأ ابن حوقل، أبو القاسم بن علي النصيبي رحلته في ٩٤٣ امتدت ٣٠ عاماً وأورد معلومات عن البجة وعن النوبة ومملكة علوة وأسماء بعض القبائل التي لم تعرف سابقاً في ١٢ صفحة في كتابه المسالك والممالك المعروف أيضاً بـ "صورة" وقد أشار إلى

نظام الإرث عن طريق الأم قائلاً: "من سنة جميع أهل السودان إذا هلك الملك فإنه يقعد ابن اخته دون قريب وحميم من ولد وأهل" (٢٤). وقد سار على منهج قدماء الإغريق واعترف "ساتي على ما رأيته من معاينة ومشاهدة ونقلته مفاهمة ومشافهة" (٢٥). لم يخضع الكتاب إلى تحقيق علمي لأن أغلب هذه المؤلفات فقدت وجاءت مقتطفات في كتاب أحمد بن علي المقريزي "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" بعد ٤٠٠ عام من تاريخ الرحلة.

.٢ جاء عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني إلى دنقلا موفدا من جوهر الصقلي لإقناع ملك النوبة للدخول في الإسلام وزار المقرة وعلوة ولم يذهب شرقاً إلى البجة وكتب كتاب "اخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل ومن عليها ومن قرب منه من الجيران.." (٢٦) وقد فقد الكتاب لكن ظهرت أجزاء في كتاب المقريزي وملخصات من كتاب المقريزي في كتب أخرى. مهما كانت قيمة الكتاب فتدخل أيدي متعددة فيها يقلل من قيمته التاريخية.

٣. أما الفارسي ناصر خسرو بدا رحلته في منتصف القرن الحادي عشر قاصداً زيارة الاراضي المقدسة فوصل إلى ميناء عيذاب وكتب مدونة بالفارسية للرحلة أشار إلى أنه استخدم مذكرات دونها سابقاً وقد وجد ملخص ترجمه يحي الخشاب للعربية في ١٩٤٥ بعنوان "سفر نامة "وأورد معلومات عن مشاق السفر وانعدام المياه وذكر أن البجة ينتشرون في الصحراء" وأنهم ليسوا أشراراً فهم لا يسرقون ولا يغيرون بل يشتغلون بتربية ماشيتهم" (٢٧).

٤. أبو الحسن محمد الكناني "ابن جبير" أندلسي عاش في منتصف القرن الثاني عشر وسافر إلى جدة عبر عيذاب واعتمد في مدونته كليا على مشاهداته التي كان يدونها في شكل يوميات وكتب عن السكان والحكام بدقة عرف بأنه قوي الملاحظة وما سجله عن شرق وادي النيل تعتبر معلومات موثوق بها. وصف يوسف فضل حسن مدونته "أجود ما كتب في أدب الرحلات وأصبح نموذجاً سار عليه الرحالة بتسجيل الأحداث يوم بيوم" (٢٨).

٥. شمس الدين أبو عبد الله محمد الطنجي "ابن بطوطة" عاش في أول القرن الرابع عشر وغادر بلده طنجة في ١٣٢٥ قاصداً أداء فريضة الحج. ذكر أن الهدف من الرحلة الاستزادة من معرفة العالم الإسلامي. كان يسجل المعلومات يومياً وأصبحت هذه مادة

مدونته وجاء وصف المواقع على درجة فائقة من الدقة وقد وصف عيذاب وسكانها والحكام رغم أنه كان عابراً (٢٩).

وقد كانت من المصادر القليلة عن تلك الحقبة التي استشهد المعاصرين بمعلومات منها عن البجة وسواكن. غير أن ظروف كتابتها تثير تحفظ فهو لم يكتبها بنفسه. عند عودته إلى فاس ١٣٥٨ طلب منه السلطان أبو عنان المريني يأن يملي ما شاهده على كاتبه عبد الله بن محمد الكلبي وقد أنجز المهمة. لاحظ البعض ان الكاتب استخدم سلوبا ادبيا وربما جنح إلى الخيال أحياناً ولا يعرف إذا كان العنوان "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" من وضع الكاتب أو من المؤلف. اعترف ابن بطوطة أن أجزاء من المدونة فقدت بسبب مشاق السفر وإن احتمال الخطأ وارداً.

إذن يجب على الباحث أخذ كل الملابسات التي تكتنف المدونات في الاعتبار عند استخدامها كمصدر للتاريخ، خاصة مع وجود تضارب في الوقائع أحياناً مثل أن فكرة الوراثة عن طريق الأم هي التي جعلت العرب حكاماً بينما أشارت بعض المدونات أن العرب أصبحوا حكاماً عن طريق الزواج من بنات الزعماء المحليين.

ورغم هذا تعتبر هذه الروايات ذات أهمية لا غنى للباحث الذي يبحث في المجتمع والتراث وسبل الحياة وربما الأساطير والمعتقدات المحلية بالرغم من الشك في مصداقيتها ومنهج كتابتها إذ كتب بعضها من الذاكرة وأحياناً بعد مضي عقود من الزمان.

أما عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (القرن الخامس عشر) فقد جاءت كتاباته خاصة المقدمة لتشكل علامة فارقة في كتابة التاريخ الإسلامي فقد أدخل تغييراً أساسياً في مفهوم التاريخ الذي يجب أن يكون أساسه التقصي والتحليل وليس النقل: "التاريخ ليس نقل أخبار الأيام والدول الماضية لكن في داخله نظر وتحقيق"(٣٠).

أشار إلى أن مؤرخي التاريخ الإسلامي نقلوا أحداثاً دون تمعن أو فحص دقيق فظهرت الكثير من "الأغلاط" في التاريخ. وهذا المنهج الذي ذكره ابن خلدون في القرن الخامس عشر لم يفطن له بعض المؤرخين إلا بعد قرون وتقرر بعدها اخضاع كل مؤلفات التاريخ الإسلامي للتحقيق العلمي.

لم ترد أي إشارات في كتابات المؤرخين المسلمين عن سلطنة الفونج ١٥٠٤. ويفسر هذا أن السلطنة قامت في أعقاب التدهور السياسي للدولة الإسلامية وآخرها سقوط غرناطة " ١٤٩٢" آخر معاقلها في الأندلس فانصرف المؤرخون والمفكرون إلى البحث في مجال فلسفي يتعلق بقيام الدول وسقوطها.

المصادر المتوفرة للفترة من القرن السادس عشر حتى أول القرن التاسع عشر عن السودان هي مدونات الرحالة الأجانب الذين زاروا البلاد، ولا بد من تقييم هذه المدونات حتى يمكن اتخاذها مصدرا للتاريخ: من هو الرحالة؟ والهدف من الرحلة ومتى كتبها وكيف وصلت للباحثين ومصدره للمعلومات التي اوردها؟

أول هؤلاء هو "داؤود روبيني" يهودي من اليمن عبر من جدة إلى سواكن في ١٥٢٢ ولم يذكر الغرض من الرحلة وسافر مع قافلة إلى "كوش" كما ذكر(٣١) . أورد معلومات عن سلطنة الفونج وعمارة دنقس وغادر إلى أوربا. ذكر بعد أن وصل إلى هناك أن الهدف من الرحلة مقابلة البابا – لماذا الذهاب إلى روما عبر السودان؟ لم يدون ما شاهده من أحداث إلا بعد فترة من الزمن وظهر أنه لم يكتبها بنفسه بل أملاها على شخص آخر* وقد سجلها الكاتب بالعبرية ولا يعرف إن كان روبيني قد اطلع عليها بعد كتابتها بواسطة كوهين؟ هل تأكد أن الكاتب لم يعدل أو يحذف أو يضيف عمدا أو سهواً بعض العبارات كما يفعل أحيانا النساخ؟ تردد أن المدونة وضعت في مكتبة بودليان في جامعة أكسفورد ولكنها اختفت ثم ظهرت في عدة نسخ في ألمانيا في ١٨٦٧ وظهر وجود اختلافات بين النسخ ربما بسبب صياغتها بواسطة عدة أشخاص في أزمنة مختلفة واعتقد البعض أن أجزاء أزيلت منها عمداً (٣٢). ما وصل من أنباء عنها جاء في مجلد بعنوان "الرحالة اليهود" نشرته دار روثلج في ١٩٣٠. أما معرفة السودان بها فجاء عبر مقالة كتبها هيللسون بعنوان "داؤد روبيني أول رحالة إلى السودان" نشرتها مجلة السودان في رسائل ومدونات العدد ١٦.

بعد ما يقارب مائة عام ١٦٧١ جاء "أوليا جلبي" التركي الذي كان يعمل في ديوان السلطان العثماني مراد الرابع في استنبول. غادر إلى بغداد ومنها إلى مصر واتجه إلى النوبة وترك مدونة بالتركية عنوانها" الرحلة إلى السودان ومصر والحبشة " لا يوجد أي استشهاد منها في أي من مؤلفات تلك الحقبة ربما بسبب اللغة. وقد نشرت ترجمة بالأبجدية التركية في ١٩٣٨ وقد أفاد المؤرخ "رتشارد هل" انها غير مطابقة للأصل ربما بسبب عدم الالتزام بالمنهج العلمي في الترجمة (٣٣).

وقد أورد وصف للقلاع والحصون والسكان ووصل حتى سنار التي سماها "فونجستان" جاءت المدونة في عشرة مجلدات وخصص العاشر للسودان وقد تجاهلها المحليون والأجانب ربما بسبب سوء التبويب وعدم وضع إطار زمني للأحداث وعدم التعرف على

الكثير من المواقع التي ذكرها إضافة إلى "الخزعبلات "التي لا يصدقها العقل" ربما كان هدفه فقط جذب القارئ.

غادر الطبيب الفرنسي شارل بونسي القاهرة في ١٦٩٨ إلى اثيوبيا بدعوة من الملك لمعالجة ابنه المريض وقد اصطحب معه بعض القساوسة وذكرت بعض المصادر أنه وصل إلى سنار في عهد بادي الأحمر في ١٧١٨-*

كتب بونسي مدونة بعنوان "الرحلة إلى اثيوبيا في السنوات ١٦٩٩-١٦٧٠". وقد أورد وصفا للسكان والأسواق إلا أنها أبعد ما تكون عن الموضوعية بسبب النزعة العنصرية التي شابتها.

زار تيودور كرمب وهو ألماني من بافاريا السودان

لم يعرف ما دونه إلا عندما ظهر ملخص لمدونته في مجلة جغرافية وسعى المؤرخ "كروفورد" للبحث عنها وعرف بوجود نسخة باللغة الألمانية في المتحف البريطاني في لندن فحصل على نسخة مترجمة للإنجليزية ووضع هذا الملخص ضمن ملاحق كتابه عن الفونج *. ونشر سبولدينج كتابا باللغة الإنجليزية بعنوان "الأسفار السودانية لثيودور كرمب" في ١٩٧٤وصفه بأنه كاثوليكي متعصب ووصف ديانة السكان بأنها "مزيفة " وأن ما كتبه ليس له علاقة بالسودان ولا أي بلد آخر إنما عن نفسه(٣٤).

أما جيمس بروس فقد وصل السودان من اثيوبيا عابرا إلى أوروبا وكان قد بدا رحلته لاكتشاف منابع النيل في ١٧٦٩ وبقي لعدة اشهر تجول في بعض المدن وكان يسجل مشاهداته بشكل يومي.(٣٥)

وفي ١٨٠٥ جاء بوكاردت من سويسرا ليلتحق بخدمة الجمعية الملكية التي كلفته بالسفر غربا لاكتشاف منبع نهر النيجر إلا أن الأحداث التي شهدتها الجزيرة العربية وقيام الدولة السعودية الأولى وتكليف السلطان لمحمد على لإرسال قواته للقضاء عليها جعل بوكاردت إلى تغيير مساره ليتجه إلى الشرق وذهب إلى سوريا وتعلم اللغة العربية واعتنق الاسلام. اتجه من القاهرة جنوبا وعبر النوبة متجها إلى البحر الاحمر. في طريقه مر على عدة قرى ودون معلومات عن شندي وبربر وعبر إلى الجزيرة العربية وقد ألف عدة كتب عن الأوضاع وقد تجول بين البدو واتضح أنه تظاهر فقط باعتناق الإسلام (٣٦).

في أول القرن العشرين جاء الفرنسي فردريك كايو إلى القاهرة وكان يعمل جواهرجي وعرف بوجود أرض المعادن في الجنوب وسافر بتمويل من حكومته إلى شرق البحر الأحمر وجمع مجوهرات وآثار عاد بها إلى فرنسا واستقبل استقبال الأبطال.

التحق بحملة الغزو في١٨٢١ ليعود إلى النوبة مرة أخرى وكانت سلطنة الفونج قد أصابها الكثير من الدمار والخراب. وقد ركز في مدونته على التجارة والسلع والأسواق وأهم ما جاء فيها قائمة لسلاطين الفونج يذكر فيها اسم السلطان ومدة حكمه وظروف وفاته وأشار إلى أنه حصل على ترجمة لها من أحد المدرسين(روايات ٣٧).

رغم أن هذه المدونات توفر بعض المعلومات في غياب أي مصادر أخرى فمن المحتمل أن مؤلفات لاحقة اعتمدت عليها وتفاديا لأي ضرر يمكن أن يلحق بالمعرفة التاريخية لا بد أن ينسب الباحث المعلومة لمصدرها بشكل واضح.

مع مطلع التاريخ الحديث الذي يضعه البعض بظهور السلطنات الإسلامية ويعتبرها بداية لكتابة التاريخ بشكل جدي بسبب الازدهار الثقافي الذي أحدثه وصول العلماء ورجال الدين وما أحدثوه من اهتمام بالثقافة الإسلامية(٣٨).

لم توجد أي مخطوطات توثق لسلطنة الفونج في مصادر محلية ربما بسبب عدم معرفة الكتابة وربما تفضيل الرواية على المخطوطة مما سار عليه المسلمون. إلا أن كميات كبيرة من الوثائق الرسمية وحجج الأراضي ووثائق التمليك وجدت وهي محفوظة حالياً في دار الوثائق بالخرطوم (٣٩). وقد أصبحت مصدراً مهما للتاريخ عندما فتحت كليات الدراسات العليا في الجامعات السودانية.

ومع ظهور المتغيرات الفكرية ودخول العلماء ورجال الدين المسلمين ظهرت مدونات في التاريخ وإن كان التركيز على الفقه والتصوف (٤٠). أول مدونة اشتهرت من وضع كاتب سوداني هو أحمد بن الحاج أبو علي * "سمي كاتب الشونة" لأنه كان موظفاً في زريبة الغلال فترة الحكم التركي فكتب مدونة بعنوان "السلطنة السنارية والإدارة المصرية" وسجل الأحداث حتى ١٨٤١م وقد اعتمد على الروايات الشفوية * (٤١). لم يعثر على النسخة الأصلية بل وجدت عدة نسخ منها:

١. نسخة في المتحف البريطاني في لندن أخذها غوردون بعد نهاية حكمداريته ١٨٧٩ وهي أول نسخة حققها مكي شبيكة ونشرت في ١٩٤٧ بعنوان "تاريخ ملوك السودان".
٢. نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية في القاهرة حققها المؤرخ المصري الشاطر بصيلي عبد الجليل موضحاً أن هناك أجزاء محذوفة من نسخة المتحف البريطاني.

٣. وجدت نسخة في متحف استنبول بعنوان "تاريخ بلود السودان"
٤. نسخة في باريس بعنوان "تاريخ ملوك الفونج"
٥. نسخة في فيينا بعنوان "تاريخ مملكة سنار والأسرة الفونجية"
٦. نسخة وجدت في مكتب السكرتير الإداري أثناء الحكم الثنائي ومودعة في مكتبة جامعة الخرطوم.

هناك عدة تحفظات على هذه المدونة والتي اعتبرت من مصادر تاريخ الحقبة: غياب النسخة الأصلية، وجود عدة نسخ مع وجود اختلافات بينها ورغم أنها خضعت للتحقيق بواسطة مؤرخ السودان الأول وبآخر مصري إلا أنه المهم معرفة إذا اطلعا على كافة النسخ. ربما جاءت الاختلافات بسبب خضوع المدونة لتدخل من آخرين ولم يعد معروفاً ما كتبه المؤلف بالضبط وما أضيف. يعتقد أن أول من عدل في المدونة الزبير بن الشيخ عبد القادر ود الزين "شهير بالزبير ود ضوة" الذي أعاد ترتيب الموضوعات وأعاد صياغة بعض العبارات. وتدخل فيها إبراهيم عبد الدافع بحذف بعض الأحداث وأضاف أخرى كما تمت إعادة صياغة وإدخال تعديلات بواسطة الأمين الضرير- مميز علماء السودان - علماً أن هؤلاء الثلاثة عاصروا الحقبة التركية المصرية.

استخدم أغلب الأجانب الذين كتبوا عن السودان هذه المدونة أمثال ستيورت وماكمايكل ونعوم شقير وحتى السودانيين فيما بعد، ولا يعرف أن محمد النور بن ضيف الله مؤلف "الطبقات" استفاد منها أم العكس. كل هذه التحفظات استوجب المزيد من البحث عن الأصل أو ما هو أقرب منه. وقد نجح يوسف فضل حسن بعد بحث مضني في الحصول على عشرة نسخ أخرى احتوت على معلومات إضافية وقد نشر النسخة الجديدة في ٢٠١٨ مما يستدعي مراجعة كل الأبحاث التي اعتمدت على ما نشر سابقاً (٤٢).

أما المدونة الثانية التي عرفت "الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان" وهي عبارة عن تراجم ٢٧٠ من الشخصيات في المجالات المختلفة (٤٣). وقد وجدت عدة نسخ ويعتقد أن مؤلفها محمد بن النور ود ضيف الله ولم تظهر نسخة باسم المؤلف وتوقيعه *. أشار الكاتب إلى أنه استعان بكتب جلال الدين السيوطي وابن حجر العسقلاني وجمع روايات شفوية وراجع الإجازات العلمية التي حصل عليها العلماء والدارسين في المدارس الدينية. إضافة للتراجم تضمنت المدونة

معلومات عن الحياة السياسية والاجتماعية في سلطنة الفونج وسودان وادي النيل. ويعاب على الطبقات عدم الشمولية فقد حصر التراجم على منطقة الفونج وأورد مقتضبة وعناوين فقط لأجزاء ومناطق أخرى من السودان: مثلاً جاءت إشارة لغرب السودان حوالي ١٠٠ مرة شرق السودان ٣٨ مرة جنوب السودان ٨ مرات جبال النوبة ٧ مرات (٤٤).

نشرت أول نسخة للطبقات في ١٩٣٠ باسم إبراهيم الصديق القاضي الشرعي ثم ظهرت نسخة ثانية نشرها داؤد منديل في ١٩٣١. وقد حظيت الطبقات باهتمام المؤرخين إذ أنها تعتبر سجل حافل للحياة الدينية والثقافية خلال الفترة الممتدة من العصر المتأخر للفونج حتى ١٨٢٠ واستخدمت على نطاق واسع بواسطة مؤرخين وغيرهم وطلاب الدراسات العليا فيما بعد.

وقد اعتمد عليها نعوم شقير وماكمايكل وهيللسون الذي كتب مقالة عنها باللغة الإنجليزية معتمدا على نسخة إبراهيم الصديق.

. ورغم أن المؤلف أشار إلى اعتماده على ما شاهده وسمعه وأنه تحرى الدقة في ما دونه ولم يضع أي تعليق وتعديل على ما قاله الرواة. تم تحقيق المدونة للمرة الأولى في ثمانيات القرن العشرين بواسطة يوسف فضل حسن ولكنه سعى للحصول على نسخ أخرى وأخضع هذه للمقاربة والتمحيص لتصدر نسخة منقحة في ٢٠١٦. الأمر الذي يتطلب مراجعات خاصة في حال وجود غموض أو تناقض في الروايات.

لكن تبقى الإشارة أن ما كتب في المخطوطتين يعتمد جزئياً على الروايات الشفوية التي من المتعذر إثبات صحتها رغم أن حديثاً راجت دعوات استخدام الرواية الشفوية كمصدر للتاريخ شرط التزام بقواعد (٤٥).

١. أن الحدث ذكر بواسطة سلسلة متصلة من الشهود من أول ما شاهدها حتى آخر شاهد على قيد الحياة.
٢. أن تكون هناك سلسلة متصلة من الشهود المستقلين.
٣. أن تكون للواقعة أو الظاهرة لها أهميتها ومعروفة لدى عدد كبير من الناس.
٤. أن تكون الظاهرة عرفت خلال فترة زمنية محدد لا تزيد عن ١٥٠ عاماً.
٥. أن تكون روح النقد معروفة أثناء تداول الرواية ولم تعرف معارضة لها.

هذه القواعد لا يمكن تطبيقها علي مدونة كاتب الشونة او الطبقات مما يعني كل استشهادCitation من المدونتين يحتاج لمراجعة.

ظهرت مخطوطة بعنوان: "على تخوم العالم الإسلامي حقبة من تاريخ السودان ١٨٢٢-١٨٤١" ربما كتبت بالإيطالية وقد عثر عليها الرحالة الإنجليزي "مانسفيلد باركنز" حين وصل إلى الخرطوم قادماً من الحبشة في ١٨٤٥ وكان باكنز ينوي وضع كتاب عن السودان وربما حصل على المخطوطة من المؤلف دون التعريف به لمساعدته في وضع كتابه ولكن باكنز لم يكتب الكتاب وانتهت المدونة عند ابنته وحصل عليها ج وايتهد من كلية دوفر وعرف عنه حبه للسودان وشرع في ترجمتها إلى الإنجليزية في ١٩٤٠ مما يدل أنها مكتوبة فعلا بلغة أخرى وكان يريد أن يكتب كتاباً عن فترة الحكم التركي المصري لكنه لم يجد ناشراً رغم أنه أنجز جزء من الترجمة قبل وفاته في ١٩٤٦.

آلت المخطوطة إلى إيفانز برتشارد الذي أهداها إلى الجمعية الملكية في لندن وغير واضح إذا كان قد أكمل الترجمة وحتى الآن لا توجد إشارة إلى مؤلفها، ذكر رتشارد هل الذي حصل على المدونة وترجمها للإنجليزية ربما يكون المؤلف هو الشاب الإيطالي "بارتولي" الذي ذكره قنصل فرنسا بأنه رافق إحدى حملات الحكمدار لصيد الرقيق وقد ورد اسمه في قائمة الأوربيين في السودان في فترة الحكم التركي في ١٨٣٨م.

أورد المؤلف معلومات متنوعة انتفاضة السودانيين ضد الغزو ١٨٢٢-٢٥ - الحملات لصيد الرقيق – نظام الحكم في عهد محو بك وخورشيد – رحلة محمد علي باشا للسودان. ويبدو أن هناك إضافات كتبها شخص آخر لأنها انتقلت بين عدة أشخاص ولم يذكر أي منهم مصادر معلوماته. اعتمد عليها البعض مرجعا لتلك الفترة من الأجانب والكتاب المحليين في ظل شح مصادر موثوق بها .(رحلة الكتاب ٤٦)

إذن التأليف التاريخي منذ معرفته في السودان كان بأيدي غير سودانية حتى منصف القرن التاسع عشر تقريباً. مخطوطة كاتب الشونة في فترة المهدية اعتبرت المنشورات والرسائل الذي بدأ المهدي يرسلها لأتباعه وآخرين أهم المصادر وتم جمعها ونشرها محمد إبراهيم أبو سليم باسم "منشورات المهدي". إلا أن مؤلفات ظهرت خلال المهدية وبعدها منها:

"المستهدي إلى صراط الإمام المهدي" وضعه إسماعيل بن عبد القادر الكردفاني" (٤٦). فجاء الكتاب ليحقق هذا الغرض معتمدا على ما شاهده وسمعه كشاهد عيان لكن الهدف الأساسي الدفاع عن المهدية.

كتب بابكر بدري كتابا بعنوان "تاريخ حياتي" من ثلاثة أجزاء خصص الجزء الأول للمهدية وقد عاصر الثورة والدولة وربما شارك في بعض المعارك وشاهد على نهاية الدولة. وقد اعتمد على بعض منشورات المهدية دون توثيق صحيح (٤٧).

غير أن مؤلفات ظهرت في فيما بعد من كتاب لم يعاصروا المهدية وغير ملمين بالأسلوب العلمي لكتابة التاريخ من أطلق عليهم "المؤرخون الهواة": محمود أبو شامة وضع كتاباً عن المهدية باسم "من أبا إلى تلسهاي". تضمن كل معارك المهدية سرداً ما عدا شرح بعض المواقع والمصطلحات في الهامش(٤٨). ظهرت مدونة باسم يوسف ميخائيل في ١٩٣٤وقد حققها صالح محمد نور لنيل درجة الدكتوراة من مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية جامعة لندن ولا توجد نسخة منها في السودان وبالتالي لا يعرف العنوان الذي وضعه المؤلف. غير أن نسخة ظهرت في ٢٠٠٤ بعنوان "مذكرات يوسف ميخائيل التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان – شاهد عيان" تحقيق أحمد إبراهيم أبو شوك وقد تحفظ المحقق على مصطلح "مذكرات" لأن المدونة كتبت بعد عدة عقود من الحقب المذكورة. وقد وصف المؤلف ما كتبه بأنه يشمل "الوقائع التي حصلت لي والشي الذي حصل على يدي والذي كان في زمن حياتي"(٤٩) ولا يعرف من الذي وصفها بـ"المذكرات" إذا كان المؤلف لم يصفها أنها "مذكرات". وحسب روايته فقد عاصر جزء "من الحكم التركي إذ جاء مع والده في ١٨٣٩ ثم عاصر المهدية حتى معركة كرري وانتقل إلى كردفان وخصص الفصل الأول لكردفان وخمسة فصول للثورة والدولة المهدية والسابع للحكم الثنائي. وقد وردت رواية عن ملابسات هذا الكتاب وأنه كان بطلب من مفتش كردفان "اجلن" الذي التقى بميخائيل أثناء زيارته لسجن الأبيض وكان مشاطراً زوجته التي أودعت السجن لعملها في صناعة الخمور البلدية. اقترح عليه اجلن" كتابة مذكراته وأمده بأوراق وأقلام لهذا الغرض فاستجاب ميخائيل وكتب هذه المدونة من الذاكرة وربما التحقيق الذي أجراه أبو شوك في معلوماتها هو ما أعطها بعض الموثوقية وألا يمكن النظر لها إلا في إطار الكتابات التي كتبها سجناء المهدي.

رغم أنه قديماً كان المفهوم أن التاريخ ما يكتبه شهود العيان غير أن التطور المتدرج الذي شهده التأليف التاريخي وتوفر الكم الهائل من المعلومات جعل رواية شاهد العيان أول الضحايا. روى أحد المؤرخين أثناء عبوره الشارع أن هناك جمهرة من الناس يتجادلون حول وقوع حادث سيارة. حاول أن يسال عدة أشخاص فروى كل شخص واقعة مختلفة: ذكر شاهد أن السيارة لونها أبيض وأن السائق استخدم آلة التنبيه ولكن

الضحية لم يستجيب. هل هذه المعلومات مطابقة للواقع؟ هل حواس هذا الشاهد السمعية والبصرية سليمة؟ هذا يحدث في حياتنا اليومية ربما يحدث في التاريخ أيضاً فلا بد من وضع ضوابط لتقبل روايات شهود العيان كمصدر للتاريخ منها: التأكد من أهليته لرواية الحدث وهل له علاقة شخصية بالواقعة أو يرتبط بأحد الأطراف أو تحت تأثير ضغط ما. وصف ضابط لمعركة قد يختلف عن وصف الجندي رغم أنهما شهود عيان لنفس الحادث.

يمكن أن نميز مستويات مختلفة من شهود العيان: قد يكون شخص عابر شاهد واقعة في الطريق أو شخص عاصر حدثاً ولكنه دونه بعد عدة سنوات أو يكون شخص عاصر الحدث واشترك في وقائعه ودونها في وقت حدوثها أو قريب منه وعلى هذا الأساس يمكن تحديد القيمة التاريخية للكتاب. ونورد مثال كتاب أحمد خير المحامي: "كفاح جيل – تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان" ومعروف أنه عاصر الفترة وربما صاحب فكرة مؤتمر الخريجين وأصبح المرجع الأساسي للموضوع وطبع عدة مرات لليقين بموثوقيته رغم أنه غير متخصص في التاريخ (٥٠).

بدأت تظهر قضية من يكتب التاريخ في ظل انتشار مؤلفات كتبها أدباء وأطباء وغيرهم شن بعض المؤرخين حملة شعواء ضدهم واتهموا بأنهم أدخلوا الكثير من الأخطاء في المعرفة التاريخية. وظهر سؤال هل يبقي التأليف التاريخي في أيدي المؤهلين أكاديمياً؟ لأنهم هم الذين واكبوا تطور المعرفة وأوجدوا مفهوماً لعلم التاريخ ومغزاه وكيفية كتابته حتى أصبح يصنف ضمن العلوم الفيزيائية لأنه يتفق معها في البحث عن الحقيقة وإثباتها.

تذخر المكتبات بمؤلفات يطلق عليها أصحابها أنها "تاريخ" وبتصفح بعض هذه يكتشف المؤرخ أن مفهوم الكاتب للتأليف التاريخي هو عبارة عن رواية سمعها أو قرأ عنها وأضاف لها من خياله أساطير وخرافات وهو الأسلوب الذي كان سائداً قبل ٢٠٠٠ عام والخطر يأتي من وصفها "تاريخاً" يجعل الاستشهاد منها مشروعاً بوعي أو بدون وعي من أجيال قادمة وبالتالي دخلت الكثير من المعلومات الزائفة في المعرفة التاريخية.

إلا أن هناك من يدافع عن "الهواة" ويتحفظ على حصر كتابة التاريخ في أيدي أصحاب التخصص الأكاديمي فكبار المؤرخين المسلمين هم غير المتخصصين على رأسهم شيخهم ابو جعفر محمد بن جرير الطبري الذي كان مفسراً للقرآن الكريم وابن الأثير كان فقيها وكذلك عبد الرحمن بن خلدون وهيجل وفولتير فلاسفة وكل هؤلاء كان لهم فضل كبير

على علم التاريخ. لكن هؤلاء كتبوا في ظروف وبيئة تختلف عن بيئة الحاضر وما حدث من تطور. إضافة إلى أن أغلب الهواة يكتبون التاريخ من منظور ذاتي: عن أسرهم وقبائلهم ومذاهبهم وبالتالي انتفاء أهم صفات لكاتب التاريخ وهي الحيدة والأمانة. كما أن أغلب المؤلفات في التاريخ الإسلامي لم تستخدم كمصدر للتاريخ إلا بعد خضوعها للتحقيق العلمي بواسطة كبار المؤرخين في العصر الحديث رغم أنهم كتبوا التاريخ من أجل التاريخ. ولكن رغم هذا يمكن استخدام كتابات غير المتخصصين كمصدر للتاريخ حتى لو لم تخضع للتحقيق العلمي في حالة لم يكن هناك غيرها مثل كتابات الإغريق والرومان بما فيها كتاب هيرودوتس وكذلك بعض المؤلفات في التاريخ الإسلامي في فترة مبكرة لها قيمة رغم أنهم "هواة".

من الإنصاف أن تكون كتابة التاريخ بأيدي المؤهلين أكاديمياً في التاريخ كما يكتب الكيمائي في الكيمياء والقانوني في القانون والطبيب في مجال تخصصه فلا نجد كتاباً في الطب وضعه مؤرخ. ويعود هذا إلى اللبس إلى المفهوم السائد أن كتابة التاريخ ما هي إلا رواية مسموح للكتابة فيها بلا ضوابط أو فهم للدور الوظيفي للمعلومة التاريخية مما يقتضي إثبات الحقيقة لمعرفة المتغيرات وهم ما يحتاج للتحليل والتفسير.

بعض الهواة لديهم مفهوم سطحي لكتابة التاريخ مثلا يفسر قيام الحرب العالمية الأولى بسبب اغتيال ولي عهد النمسا في "سرايفو" لأنه لا يعرف أو يتجاهل نظرية السببية التاريخية فلكل حدث سبب ونتيجة. لم يكن الاغتيال عمل فردي وانتهي في وقته.

رغم هذا ظهرت مؤلفات كتبها أكاديميون من غير المتخصصين لكن في سياق تاريخي إذ أنهم اعتمدوا على مراجع تاريخية مثال الطبيب العالم التجاني الماحي الذي كتب "مقدمة في تاريخ الطب العربي" استعان بمصادر تاريخية (٥١). عصمت حسن زلفو وهو عسكري كتب "كرري تحليل عسكري لمعركة أمدرمان" في هذه الحالة من المهم معرفة زمن الصدور فهذا الكتاب صدر عام ١٩٧٣ بعد عدة عقود من الحدث فإذا تمت مقارنته بالكتب التي ظهرت في وقت الحدث من المراسلين الحربيين الذي شهدوا المعركة ودونوا ملاحظات من الميدان مثل ونستون تشارشل الذي كان مراسلاً حربياً في معركة كرري (٥٢).

لم تظهر مؤلفات تاريخية في السودان إلا بعد العقد الأول من القرن العشرين ربما بسبب الانفتاح الثقافي والسياسي الإقليمي والدولي خاصة بعد الحرب العالمية الأولى التي تم تناقل أخبارها وبدأ بعض المثقفين يتأملوا في وضع بلادهم تحت الحكم الاستعماري.

خاصة بعد الإعلان عن وثيقة التي عرفت بـ "نقاط الرئيس ولسون الأربعة عشر" * التي نادت بحق الشعوب في تقرير مصيرها. فجاءت مذكرة علي عبد اللطيف التي انتقد فيها السياسة الاستعمارية ولكنها لم تجد طريقها للنشر. وكل ما ظهر من مؤلفات كانت من الإداريين والأساتذة البريطانيين. في كلية غوردون. وما ظهر مرتبطاً بالتاريخ هو تحقيق مكي شبيكة لمخطوطة كاتب الشونة في ١٩٤٧م.

ظهرت مؤلفات تناولت موضوعات في سياق تاريخي أغلبها في نهاية القرن العشرين: الجعليين ونسبهم وتاريخهم وآدابهم في ١٩٩٤ صور من حياة الشايقية ١٩٩٦ وفي ذات السياق مؤلفات عن الشكرية والرباطاب بالاعتماد على مراجع تاريخية. والغريب استمرار هذا النهج حتى أول القرن الواحد وعشرين فصدرت عدة مؤلفات لتمجيد القبيلة ودورها وسير ذاتية عن أفرادها. وكتابات عن الأقاليم ومدن دارفور وكردفان والفاشر وكسلا ولم تظهر مؤلفات ذات صبغة سياسية ضد للحكم الثنائي منذ قمع ثورة ١٩٢٤.

ويبدوا أن المتغيرات التي حدثت في كتابة التاريخ منذ نهاية القرن التاسع عشر أهمها ضرورة إثبات الحقيقة باستخدام مصادر موثوق بها وبالطريقة العلمية لم تتأثر بها الكتابة التاريخية في السودان. نلاحظ بعض الأكاديميين كتبوا في التاريخ وخارج تخصصاتهم ولأنهم يدركون أهمية التوثيق فأرفقوا بكتبهم بعض المراجع وإن كان في المكان الخطأ أي وضعها في نهاية الفصل أو الكتاب، فالقاري يحتاج معرفة مصدر المعلومة بدقة ولا فائدة من وضع المصدر دون الإشارة إلى موقع المعلومة. كما لم يظهر الدور الوظيفي للتأليف التاريخي في تلك المؤلفات والاكتفاء بسرد الأحداث ومن أمثلة هذه الفئة:

الفاضل العبيد عمر وهو طبيب ألَّف كتاب عن قبيلته ربما وقد استشهد بعدد كبير من المراجع التاريخية باللغة العربية والإنجليزية واستعان ببعض المخطوطات إلا أن وضعها في نهاية الكتاب لا يخدم أي غرض بشأن إثبات الحقيقة (٥٣). وكتب المهندس إبراهيم عبد الرحمن إبراهيم دوليب عن قبيلته "الدواليب الركابية في السودان" وهو أيضاً اعتمد على مجموعة صغيرة من المراجع التاريخية وضعها في نهاية الكتاب وهي محاولة لإثبات صدقية ما كتبه ولم تتعدى القائمة الأربعة عشر مرجعاً لكتاب من ثلاثمائة صفحة(٥٤).

إن الإشارة لهذه المؤلفات لا ينتقص من قيمة ما أوردته من معلومات ولكن فقط الإجابة على سؤال إلى أي مدى يمكن اعتبارها مصدراً للتاريخ إذ أن هذا المعيار هو الذي يحدد قيمة الكتاب بالنسبة للمؤرخ حتى يمكن أن تستفيد منه الأجيال القادمة.

وهناك فئة من "الهواة" كتبت عن أحداث ووقائع ربما مرتبطة بأسرهم: موسى عبدالله حامد طبيب جراح وضع كتاب عن المهدية باسم "استقلال السودان بين الواقعية والرومانسية وهو ينتمي لعائلة أنصارية .فيصل عبد الرحمن علي طه الذي كان والده من قادة حزب الأمة وهو قانوني وضع كتاباً بعنوان "السودان على مشارف الاستقلال الثاني" وهي الفترة الأخيرة من الحكم البريطاني وقد استعان بأصول مختلفة وجاء ببعض المصادر مما ظهر في الوثائق البريطانية التي تولي نشرها مترجمة محمود صالح عثمان صالح * وجه القصور في هذه المؤلفات التركيز على الحادث دون تفسير أو تحليل للأحداث لأن كما قال "ول ديورانت" إن الحقائق المجردة ليس لها قيمة إذ لم تكن مصدر إضاءة "ول ديورانت (٥٥) بل أن المؤرخ "كار" أشار "أن ليس كل الأحداث تستحق التسجيل بل هناك أحداث تاريخية وأحداث غير تاريخية" وأورد مثال واقعة عبور يوليوس قيصر نهر الرابكون في روما التي سجلت في عدد هائل من المصادر في حين لا نجد ذكر لآلاف الذين عبروا الرابكون قبل وبعد يوليوس قيصر ذلك أن عبور يوليوس قيصر أثر على مسيرة التاريخ بشكل درامي (٥٦). معرفة الحدث مهم لكن لا بد من التحليل لنصل إلى نتيجته.

هناك من كتب تاريخ الأسرة وارتباطها بوقائع تاريخية: مكي أبو قرجة "صولة بني عثمان في ملاحم الثورة المهدية - عائلة سودانية بين قرنين" والمؤلف صحفي سعى لتوثيق الكثير من المعلومات (٥٧).

نشرت مؤلفات كتبها الأبناء عن الآباء "محمد سعيد القدال" الشيخ القدال معلم سوداني في حضرموت "وفدوي عبد الرحمن علي طه" عبد الرحمن علي طه معلم الأجيال "ودرية عبدالله مرغني عن والدها وغالباً لم يقصد هؤلاء أن تكون مؤلفاتهم شاهدا على التاريخ بالمفهوم العلمي بل هي نوع من الولاء وإبراز دورهم في المجتمع.

. ومن مؤلفات غير المؤرخين الأكاديميين نشير إلى ثلاث:

---

١. ألف محمد إبراهيم نقد وهو اقتصادي كتاب "علاقات الرق في المجتمع السوداني - توثيق وتحليل" (٥٨) للكتاب أهمية خاصة تطرق لما عرف

بالموضوعات "المسكوت عنها" وهو يقع في ٤٥٠ صفحة، لم يلتزم التوثيق العلمي إلا أن أغلب معلوماته مستقاة من مصادر أولية كوثائق مصنفة رسمياً في دار الوثائق بالخرطوم. وقد الحق نسخاً منها بالبحث" ٤٠ وثيقة تعود لفترة المهدية وأكثر من ٥٠ لفترة الحكم الثنائي لها علاقة مباشرة بموضوع الكتاب إضافة إلى مجموعة كبيرة من المراجع العربية والإنجليزية.

٢. محجوب عمر باشري "معالم الحركة الوطنية ١٩٩٩" وهو يغطي فترة المهدية والحكم الثنائي موزعة على ٦٤ فصل في ٨٣٠ صفحة وقد اورد في نهاية كل فصل المراجع التي استشهد بها. اهمها مراجع مترجمة ولها مصداقية. وقد سار على هذا المنوال في عرض تفصيلي حتى نهاية المهدية، ثما انتقل لفترة الحكم الثنائي فدون باستفاضة أحداث الحركة الوطنية كشاهد عيان وحرص على استخدام أكبر قدر من الأصول والمراجع باللغتين (٥٩).

٣. وضع أبو القاسم حاج حمد مؤلفاً في ثلاث مجلدات خص المجلد الأول ٦٠٠ صفحة للتطور التاريخي للسودان بداية من المهدية وحتى إعلان الاستقلال وميزته أنه لم يكتفِ برصد الأحداث؛ بل جادل في تفسيرها وتحليلها وإن كان مصدر معلوماته مراجع تاريخية (٦٠).

وقد ظهرت مؤلفات عن الأحداث السياسية خاصة المتغيرات في أنظمة الحكم عبر الانقلابات العسكرية والثورات الشعبية التي أزالتها فظهر كتاب عن "ثورة أكتوبر" بعنوان "عشرة أيام هزت العالم" وضعه مراسل لوكالة الشرق الأوسط في الخرطوم ويصف الأحداث كشاهد عيان (٦١). ظهرت مؤلفات أخرى عن الموضوع مما يساعد في التحقق من الروايات خاصة إذا كان هناك تضارب أو ما يكتنف بعض الأحداث من غموض عمداً أو سهواً.

هناك فئة أخرى مرتبطة بالتأليف التاريخي وهي السير والتراجم والمذكرات، بعضها سيرة ذاتية أو عن الغير Biography, Auto biography

البعض يصنفها باب من أبواب التاريخ ولا تعتبر مجرد حياة أفراد إنما رصد لأحداث ساهم بها أشخاص أدت إلى متغيرات ومن هنا تأتي أهميتها وارتباطها بمسيرة التاريخ.

وقد عرف هذا النوع من التأليف التاريخي منذ الحقب القديمة وكانت عبارة عن تسجيل لأحداث وأعمال متصلة بالملوك عند المصريين والصينين والآشوريين وتعتبر وسيلة

للتنقيب والبحث عن الحقيقة وراء تلك الأحداث (٦٢). واعتبر "بلوتارك" أن التراجم توفر معلومات عن حياة المجتمعات وثقافتها * إضافة إلى المعلومة التاريخية. واعتبر "كولينجود" أن السير تتحلي بإحدي الصفات المطلوبة في الكتابة التاريخية وهي "النزعة الإنسانية *. وقد أشاد والمؤرخ الفرنسي "كارلايل" بمؤلفات السير واعتبر أن التاريخ يكتبه العظماء من الرجال ويكتب عنهم لاتخاذهم قدوة وألف كتاب "عبادة الإيطال وأعمال البطولة في التاريخ وطبق نظرته في كتاب" تاريخ فردريك ملك بروسيا " و"رسائل كروميل وخطبه "(٦٣) بينما هاجمها فولتير واعتبر أن أغلب ما كتب اتسم بالسطحية وان استثنى كتاب هيرودوتس.

وقد كانت هناك أهمية في التاريخ الإسلامي للسير إذ أن جوهر منهج الجرح والتعديل معرفة شخصية الراوي. ثم ظهرت تراجم لشخصيات في البداية قاصرة على علماء الحديث والفقهاء والصحابة. كتب شمس الدين بن خلكان "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" ثم توسعت الدائرة وكتب ابن أبي أصيبعة، أبو القاسم أحمد "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" وابن الأثير "أسد الغابة في معرفة الصحابة" و "الطبقات الكبرى في ذكري الصحابة والتابعين والمهاجرين". لأبي سعد بن عبد الله (٦٤).

عرفت مؤلفات السير بنوعيها في السودان في شكل معاجم سجلت أسماء شخصيات برزت في مجالات مختلفة أو ارتبطت بأحداث وكان أول معجم أصدره رتشارد هل: Hill, R, A Biographical Dictionary of the Sudan

وقد ظهرت بعد ذلك قواميس متعددة أكثرها شمولية الذي أصدره قاسم عثمان نور بعنوان "معجم المؤلفين السودانيين " من ثلاثة أجزاء .(٦٥).

ثم ظهرت مؤلفات في السيرة الذاتية لسياسيين ومهنيين وفي الواقع أن هذا النوع من التأليف التاريخي يحظى بإقبال كبير من جمهور القراء أكثر من روايات المعارك وإنجازات الحكام فكتب سفراء ومهنيين ما يمكن أن نسميه ذكريات وليس مذكرات ولم يقصدوا بها أن تكون شاهداً على التاريخ وإن تعرضوا لأحداث تاريخية في زمانهم.

وقد ارتبطت كتابة السير الذاتية بالمذكرات التي ينشرها السياسيون فأصبح هذا تقليد متعارف عليه في الغرب خصوصاً. الرئيس بعد أن يترك المنصب يكتب "مذكرات" عن فترة عمله ولكنه يمهد لتاريخ حياته أولا ربما منذ ولادته *. وميزة هذه المذكرات أنها تكتب من وثائق احتفظ بها الرئيس تشمل كل صغيرة وكبيرة وقعت أثناء حكمه وغالباً يخصص موظفاً لهذه المهمة ولهذا تتمتع هذه المذكرات بصدقية تامة وفي كثير من الأحيان تظل

الأكثر مبيعاً في سوق الكتب لفترات طويلة لأن الجميع يدرك أن ما جاء فيها لا يكتب من الذاكرة ويخلو من أي تزوير أو نسيان أو خطا أو ادعاء سهواً أو عمداً.

في السودان ظهرت عدة مذكرات لسياسيين غير أن هناك تحفظات على ما جاء فيها وفي العالم العربي عموماً تكتب هذه المذكرات بعد عدة سنوات من ترك المنصب وهي تكتب من الذاكرة مما يحد من مصداقيتها. ولدينا أمثلة:

١. "مذكرات أحمد محمد يسين" شغل منصب في مجلس السيادة الذي تشكل بعد الاستقلال حتى ١٩٥٦ وقد ذكر أنه بدأ في كتابتها في العام الأول من بداية الحكم العسكري الأول (١٩٥٩) (٦٦) لكن هذه المذكرات لم تنشر إلا في ١٩٨١م.

٢. "مذكرات عبد الماجد أبو حسبو" الذي انتمى إلى الحزب الوطني الاتحادي واشترك وزيراً في حكوماته بعد الاستقلال وذكر أنه بدأ في كتابة المذكرات في ١٩٧٠ في سجن كوبر حيث زج به الحكم العسكري الثاني وهو يعترف أنه كتبها من الذاكرة إذ لم تتوفر له "مراجع" في السجن. ولهذا لا يسميها مذكرات بل "شيءٍ ما " وهو يدونها لأنه كان جزء من التاريخ الوطني حسب قوله (٦٧). ظهرت هذه المدونة في ١٩٨٧ بعد وفاته. ويبدو أن الأسرة تولت نشرها وغير واضح إذا كان المؤلف قد أكمل كتابتها وكانت جاهزة للنشر بقلمه أم أن شخصاً آخر قد أكملها. علماً أن المؤلف أوضح أن ما كتبه يمتد حتى ١٩٨٣ لكن الأسرة قررت حذف الجزء من بداية الحكم العسكري الثاني لتنشره في كتاب منفصل.

٣. "مذكرات خضر حمد" ،١٩٨٠ وقد كان من قادة الحركة الوطنية في فترة الحكم الثنائي ويبدو أنه بدأ في وضع كتاب حسب ملاحظته "أن هذا الذي أكتبه ليس تاريخ حياتي ..... ولكني أسجل حقبة من التاريخ " وقد صدرت باسم "مذكرات خضر حمد" بعد وفاته بسنوات طويلة هل كانت هذه رغبة المؤلف؟ بعض كتاب المذكرات يشترطون نشرها بعد الوفاة. المؤرخ الفرنسي "شاتوبريان" كتب مذكراته مع وضع ملاحظة "للنشر بعد القبر" (٦٨) ما عرف عن مذكرات خضر حمد أن أحد أقربائه تولى نشرها. وهو ما يثير عدة تحفظات هل الكتاب كان جاهزاً بالكامل بقلم المؤلف أم تدخل فيه شخص آخر ومن الذي تولى مراجعتها لتظهر في صورتها المطبوعة؟ ففي الحياة اليومية ما يأتي من المطبعة هو "بروفة " يقوم المؤلف نفسه بمراجعتها عدة مرات فهل خضعت المذكرات لهذا الاجراء؟

٤. "إبراهيم أحمد "حياة إنسان" وهو ما اعتبر مذكرات لإبراهيم أحمد وكان من قادة حزب الأمة وشغل مناصب وزارية في حكومات ذلك الحزب ولا توجد إشارة أنه كتب مذكرات لكن ظهر كتاب في ١٩٩٦ بهذا العنوان وعرفت ملابسات حول الأمر أن أسرة إبراهيم أحمد وجدت أنه ترك كمية هائلة من الأوراق فرغبت الأسرة في صياغتها ونشرها وربما اختارت العنوان وكلف أستاذ من خارج الأسرة بعملية الاطلاع على الاوراق وصياغة كتاب في شكل مذكرات. يجد الباحث في التاريخ صعوبة في التعامل مع مثل هذه المؤلفات كمصدر للتاريخ فما هي هذه الأوراق التي شكلت المصدر لهذه المذكرات وهل كانت كل ما تركه صاحبها أم حدث انتقاء أو إضافة؟ ومن تولي المراجعة بعد الطباعة؟

هناك مذكرات كتبها أشخاص خططوا وشاركوا ونفذوا انقلابات عسكرية وتولوا مناصب سياسية وتنفيذية فجاءت مدوناتهم في شكل مذكرات وروايات شهود عيان. قيمة هذه تعتمد على فحص دقيق لشخصية المؤلف ومدى أهليته ومقدرته وأمانته كما استخدم المسلمون "الجرح والتعديل" وهذه عملية على درجة من التعقيد ولكنها مهمة إذا كان الغرض معرفة الحقيقة.

أمثلة لهذه:

مذكرات منصور خالد وهي سلسلة من أربعة أجزاء حملت عنوان "شذرات من هوامش علي سيرة ذاتية" وقد تولى مناصب سيادية في الحكم العسكري الثاني وتناول أحداث هذه المرحلة في الجزء الثاني باستفاضة مستعينا ببعض الوثائق احتفظ بها أثناء توليه المناصب.(٦٩).

"مذكرات زين العابدين محمد أحمد عبدالقادر" مؤلفه كان مخطط ومشارك ومنفذ في انقلاب مايو مما يتيح للباحث مقارنة ما جاء في هذه مع رواية منصور خالد وما ظهر بينهما من حذف متعمد لأحداث أو تناقض والتركيز على العنصر الذاتي (٧٠) أما السير الذاتية للغير فهي متوفرة "في شكل تراجم لشخصيات: عجيب المانجلك – الزبير باشا – علي دينار – عثمان دقنة – عبد الرحمن سوار الدهب" أغلبها من منطلق تصحيح مفاهيم أو تسليط الضوء على جوانب لم تجد الاهتمام الكافي.

في الوقع ان ما كتب في التاريخ الحديث مع بداية الحكم الثنائي بأقلام سودانيين يعتبر ضئيلاً حتى من الأكاديميين ربما بسبب عدم توفر المصادر وسياسة القمع التي اتخذتها الإدارة.

لكن التأليف التاريخي شهد تحولاً نحو الموثوقية العلمية بعد أن تم تجاهلها لفترة طويلة وبداية من التاريخ القديم الذي لم يحظ باهتمام إلا بعد قيام سد أسوان في ١٩٠٢ وغمرت المياه الكثير من المواقع الأثرية جنوباً مما دفع الحكومة المصرية لطلب مجموعة من علماء الآثار للتنقيب والكشف عن آثار النوبة عندما بدأت في التعلية الأولى للسد في ١٩٠٧ فجاءت بعثة جورج رايزنر برعاية من جامعة هارفارد وتم الكشف عن الكثير من المعابد والمدافن بالتعاون مع بعثة إنجليزية. (٧١) تم الكشف عن حضارات جنوب وادي النيل ولكن لا تبدو تاريخ متصل ولهذا قسمت إلى مجموعات يشار لها أ ب ج س حسب أسبقيتها وعرفت بما قبل كوش. وقد كتبت البعثات ٢٥ تقارير نشرته مصلحة الآثار المصرية. وجاءت بعثات أخرى عند التعلية الثانية لسد أسوان فتم الكشف عن مزيد من المواقع أثناء عملها حتى ١٩٣٤ ما بين ١٩٣٨ و٤٨ حقق مفتش الآثار ج آركل أول كشف أثري في العصر الحجري القديم وتم التوسع في التنقيب إلى البطانة والخرطوم وجنوب الرنك(٧٢).

بدأ السودانيين يشعرون بأهمية تاريخ بلادهم وحضارتهم فتم تعيين أستاذ لعلم الآثار في كلية غوردون في ١٩٤٧ وبدأ السودانيون يشتركون مع بعثات التنقيب الأجنبية وتأسس قسم الآثار عندما تحولت كلية الخرطوم الجامعية إلى جامعة الخرطوم في كلية الآداب في ١٩٦٣م. وبدأت تنشر مؤلفات لأساتذة من القسم حصلوا على درجات عليا من الخارج وكانت مصادرهم من الدرجة الأولى عبارة عن نتائج التنقيب الذي امتد لمناطق أخرى في وسط السودان في الفترة ما بين ١٩٥٩- ١٩٧٤. وقد كان أول من كتب في التاريخ القديم عبد القادر محمود عبدالله الذي حصل على الدكتوراة من بريطانيا وتخصص في دراسة "اللغة المروية " مما أدى إلى التعريف بها وأبجديتها وفك رموزها وقد نشر كتاب في ١٩٨٢ من جامعة الملك سعود بالرياض عن هذه. ثم بدأ عدد كبير من الأساتذة السودانيين الاشتراك في بعثات التنقيب ونشروا مؤلفات عن النتائج التي حصلوا عليها.

ثم حدث التحول الكبير في كتابة التاريخ في كل الحقب عند تحول كلية غوردون إلى كلية الخرطوم الجامعية ثم جامعة الخرطوم وتأسيس كلية الآداب وافتتاح قسم التاريخ.

وبدأ ابتعاث الأساتذة للحصول على درجات عليا من مدرسة الدراسات الشرقية الإفريقية "جامعة لندن" تحت إشراف أساتذة بريطانيين وتأثروا بالتطورات التي حدثت في كتابة التاريخ وسماتها الأساسية وقد نقلوا هذه الخبرة فيما بعد للطلاب. وقد تركز هذا في جامعة الخرطوم قبل افتتاح جامعات أخرى فافتتحت مجالات للدراسات العليا وما بين ١٩٧٣ إلى ٢٠٠٢ تم حصر ٢٠٠ رسالة ماجستير ودكتوراة (٧٥) (ميمونة مرغني حمزة وأيمن كمال أمين السيد، دليل الدرجات الجامعية في التاريخ المجازة من الجامعات السودانية مع مستخلصات (٢٠٠٢).

وقد حظيت حقبة المهدية (١٦ عاماً) بالنصيب الأوفر مقارنة بالحكم التركي المصري (٦٠عاما) أو السلطنات الإسلامية (٣٠٠ عاما) (٧٣) وربما يعود هذا إلى قلة المصادر وهناك أيضاً صعوبة في التحقق من المعلومات الواردة في المصادر المتوفرة. ولم تحظ فترة الحكم الثنائي (٥٠ عاماً) بنصيب كبير من الأبحاث بسبب عدم توفر المصادر داخلياً وأغلب الذين كتبوا عن فترة الحكم الثنائي من ابتعثوا إلى بريطانيا باستثناء توفر من مصادر في دار الوثائق المركزية لبعض الموضوعات. غير أن تصاعد الاهتمام بدراسة فترة الحكم الثنائي عندما بدا نشر وثائق بريطانية منها:

British Documents on the end of Empire (٧٤)

وتم تخصيص مجلدين للسودان وهي محفوظة في مكتبة السودان – جامعة الخرطوم. ثم حدث تقدم لآخر عندما كلف المؤرخ البريطاني بيتر وودورد في مبادرة وطنية بحصر الوثائق البريطانية خلال فترت الحكم الثنائي لكن ما بين ١٩٤٠-١٩٥٦

وذكر أنه اطلع على أكثر من ١٥٠٠ وثيقة في وزارة الخارجية البريطانية والسفارة البريطانية في القاهرة ومكتب الحاكم العام والسكرتير الإداري في الخرطوم اختار ٣٠٤ منها لا ندري على أي أساس تم الاختيار وفد ذكر أنها تمثل وجهة النظر البريطانية في الأحداث * ويبدو أن هذه التي أصبحت مشروع محمود صالح عثمان صالع لنشرها وكلف أساتذة من جامعة الخرطوم بالمهمة فظهرت في ثلاثة عشر مجلداً تولى مركز عبد الكريم مرغني – امدرمان طباعتها وأتاحتها للباحثين وربما يودي هذا إلى تحفيز الأجيال المعاصرة للكتابة عن هذه الحقبة المهمة والتي ما زالت توثر في حاضر السودان وربما مستقبله وقد تسلح هذا الجيل بكيفية كتابة التاريخ بموثوقة علمية وباستخدام مصادر من الدرجة الأولى (٧٥).

الإحالات

١ Boldyguin , On the meaning of History, University of Humanities , Russia , 2013 p

٢ أحمد الياس حسين، السودان الوعي بالذات وتأصيل الهوية، مركز بناء الأمة للبحوث والدراسات ص ٥٩

3, Binod Bihari Sat Pathy Historical Theory and Method p 45

4 عبد الله الملاح، المجتمع الثقافي، ابو ظبي، ٢٠٠١ ص ٢٥ ، ٤ تاريخ هيرودوت

5 Binod K op. cit p 43

6 Elija Teroo , History and interdisciplinary studies, UNESCO General History of Africa , p61

7 Djait , H Written Sources before the fifteenth century , ibid , 87

٨ كان الفينيقيون اول من عرف الكتابة ولها ابجدية من ٢٢ حر في *.عرف الورق في الصين ووصل الي الاندلس في القرن الثامن

٩ ميمونة مرغني حمزة، ملاحظات حول التأليف التاريخي في أوروبا من هيرودوت الي جاك لوغوف ، المؤرخ السوداني ، الجمعية التاريخية السودانية العدد السادس ٥٧-٧٦

١٠ احمد الياس حسين، المرجع السابق ص٦٥

*اللغة الهيروغليفية رسوم وأشكال لم تفك رموزها الا بعد ان وجد احد علماء حملة نابليون " شامبليون " حجر رشيد في ١٧٩٨

١١ Biond , op cit, p 60

12 Karaikudi ,Introduction to Histriography , Alagappa University p56

*هبة قسطنطين وثيقة زورها البابوات علي اساس اصدرها الامبراطور قسطنطين في القرن الرابع منحهم الحق في ممارسة او السلطة الزمنية

اندلع الصراع بين البابوات والامبراطور الروماني المقدس في القرن التاسع عندما رفض منحهم السلطة الزمنية ولم يتم اكتشاف انها مزورة الا في القرن الخامس عشر بواسطة المؤرخ لورنزو فالا

١٣ Karaikudi , op. cit, p68

١٤ سامية بشير دفع الله، تاريخ الحضارات السودانية القديمة من أقدم العصور حتى مملكة نبتة، ١٩٩٩، ص ١٩

١٥ نفسه ص ٣٠

١٦ مكي شبيكة، السودان عبر القرون، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ص ٦٥

17 Collingwood , R G , The Idea of History 1946 , p. 123

18 Zachary M, Prinicton Guide to Historical , Research ,p 64

19 Nietzche The Use and Abuse of History part 1

٢٠ ميمونة مرغني حمزة، ملاحظات، ص ٦

*لم يظهر مفهوم الدولة القومية في أوروبا بمعني تطابق العرق مع المنظومة السياسية الا في القرن التاسع عشر فظهرت المانيا دولة للألمان وإيطاليا للإيطاليين.

٢٢ Biond , op cit

٢٣ يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان وافريقيا وبلاد العرب ، ٢٠٠٨الجزء الثالث ،ص١٠١

٢٤ نفسه ص ١٠٢

٢٥ نفسه ص ١٠٩

٢٦ نفسه الاسواني ص ١١٢

٢٧ نفسه خسرو ص ١١٦

٢٨ نفسه ابن جبير ص ١١٨

٢٩ نفسه ابن بطوطة ص ١٢٠

٣٠ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد

٣١ ميمونة مرغني حمزة، القيمة المصدرية لروايات الرحالة والعابرين الاجانب عن السودان ١٥٢٢-١٨٢١، المؤرخ السوداني، العدد الخامس (خاص سنار) ٢٠١٨ الجمعية التاريخية السودانية، ص٨٢

٣ 2 The Funj Kingdom of Sennar with a geographical account of the Middle Nile region , Gloucester , 1951, App. 3

القيمة المصدرية ، ص٨٧

٣٣ ميمونة مرغني حمزة

* يري عبد القادر محمود أن بونسي وصل الي السودان في عهد اونسة بن بادي لان وصف بونسي لشخصية الملك وسلوكه لا تنسجم مي شخصية بادي الاحمر ويعتقد ان فترة اونسة التي حددتها المراجع ١٧١٨ تحتاج لمراجعة

٣٤ ميمونة مرغني حمزة، القيمة المصدرية ص٨٩

٣٥ نفسه ص ٩٠

٣٦ نفسه ص٩٢

٣٧ نسيم مقار، الرحالة الاجانب في السودان ١٧٦٩-١٧٧٢

مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ١٩٩٦ ص٢١ وص٣٨

٣٨ يوسف فضل حسن، المرجع السابق ص ١٣٥

٣٩ أيمن كمال أمين، مصادر تاريخ سلطنة الفونج الاسلامية، المؤرخ السوداني، العدد الخامس ص ١٠٦

٤٠ قاسم عثمان نور، رحلة الكتاب السوداني عبر الحقب والعصور الاصول والمصادر والمراجع والمؤلفين والمؤلفات والمؤسسات رصد وتحليل وتعليق الجزء الثالث مركز قاسم للخدمات والمكتبات، الخرطوم، ٢٠١٦

٤١ احمد بن الحاج ابو علي (كاتب الشونة)، تاريخ ملوك سنار ١٥٠٤ -١٨٧١ نقحه واضاف اليه احمد الحاج محمد جنقال - الزبير عبد القادر ود الزين – ابراهيم عبد الدافع – الامين محمد الضرير وحققه وقدم له وعلق عليه يوسف فضل حسن، ٢٠١٨

٤٢ نفسه

٤٣ كتاب الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تأليف محمد النور بن ضيف الله، حققه وعلق عليه وقدمه يوسف فضل حسن ٢٠١٢. ذكر المحقق انه لم يعرف العنوان الذي وضعه المؤلف بسبب فقدان النسخة الاصلية وتشكك في العناوين التي وضعها بعض المحققين قبله واختار هذا العنوان الذي جاء في مخطوطة كاتب الشونة باعتبار أكثر مطابقة للمحتوي.

٤٤ احمد الياس حسين، المرجع السابق ص ٥٧

45 Esserdeen , A Text Book of History , Longman 2004 ,123

٤٦ قاسم عثمان نور ، ذكر ان الخليفة عبدالله طلب منه تأليف كتاب للرد علي ما نشر ضد المهدية، معجم المؤلفين السودانيين من عصر الفونج إلى التاريخ الحديث رصد لمؤلفاتهم ونبذه عن شخصياتهم ، المجلس القومي للثقافة والفنون ، ٢٠١١

٤٧ بابكر بدري ، تاريخ حياتي ٣ اجزاء ١٩٩٠ تحقيق ومراجعة علي بابكر بدري

٤٨ عبد المحمود ابو شامة، من ابا الي تلسهاي ، ١٩٨٦

٤٩ مذكرات يوسف ميخائيل ، تحقيق احمد ابراهيم أبو شوك ، ٢٠٠٤

٥٠ احمد خير ، كفاح جيل ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الطبعة الاولي ١٩٤٨

٥١ التجاني الماحي ، مقدمة في تاريخ الطب العربي ، مصر ،

٥٢ Churchill, W , The River War

* وثيقة من ١٤ بند قدمها الرئيس الامريكي ودرو ولسون لمؤتمر السلام في باريس من اجل انهاء الحرب العالمي الاولى

٥٣ ا لفاضل العبيد عمر، قبائل رفاعة الكبري في السودان جذورها – فروعها -اعلامها – مناطق تواجدها ، مكتبة علوم النسب ، ٢٠١٣

٥٤ابراهيم عبد الرحمن ابراهيم دوليب، قبيلة الدواليب الركابية في السودان اشراف الخليفة جعفر الشيخ الدرديري خليفة الدواليب في السودان

٥٥ Carr ,H What is History

٥٦ Ibid

٥٧Ibid

٥٨ محمد إبراهيم نقد، علاقات الرق في المجتمع السوداني النشأة – السمات – الاضمحلال توثيق وتعليق، دار عزة للنشر والتوزيع ط ٢ -٢٠٠٣

٥٩ محجوب عمر باشري، معالم الحركة الوطنية في السودان ، المكتبة الوطنية بيروت ١٩٩٦

٦٠ ابو القاسم حاج حمد، السودان والمأزق التاريخي ٣ اجزاء. nternational Studies and Research Bureau , British West Indies 1996

٦١ كلف تومسون، ثورة اكتوبر ١٩٦٤، ترجمة وتحرير بدر الدين حامد الهاشمي، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع ٢٠٢٠

٦٢ مصطفي الصاوي، السيرة والمذكرات في الادب السوداني، مركز عبد الكريم مرغني ، امدرمان ، ٢٠١٢ ص ٤٨-٦١

٦٣ ميمونة مرغني حمزة، ملاحظات، المرجع السابق ، ٢٤

٦٤ ميمونة مرغني حمزة، دراسات في منهجية البحث التاريخي ، دار الخليج ، عمان ، ٢٠١١ ص ٥٩.

٦٥ قاسم عثمان نور ، معجم المؤلفين السودانيين ، المرجع السابق

* نظر باراك اوباما ، الارض الموعودة ، المكتبة العربية ٢٠٢٠*

٦٦ نشرت في ١٩٨١

٦٧ عبد الماجد أبو حسبو، جانب من تاريخ الحركة الوطنية في السودان ص٩

٦٨ ميمونة مرغني حمزة، ملاحظات، المرجع السابق، ص ٣٠

٦٩ منصور خالد، شذرات من وهوامش علي سيرة ذاتية، رؤية للنشر والتويع، ٢٠١٨

٧٠ زين العابدين محمد احمد عبد القادر، مايو سنوات الخصب والجفاف مذكرات الرائد (م) مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، ٢٠١١

٧١ سامية بشير دفع الله ، المرجع السابق ، ص٣

٧٢ نفسه ص ٥٥

٧٣ علوية عبد الله خير الله، الرسائل الجامعية عن سلطنة الفونج بالجامعات الحكومية ولاية الخرطوم، المؤرخ السوداني، العدد الخامس ، خاص سنار ، ص٥٨

٧٤ The British Documents on the End of Empire Project, Institute of commonwealth studies University of London vol 5

٧٥ الوثائق البريطانية عن السودان ١٩٤٠- ١٩٥٣ تحرير محمود صالح عثمان صالح ٧مجلدات

تجربة الحكومات الانتقالية في السودان ١٩٥٤م- ١٩٨٦م

د. هاشم بابكر محمد أحمد(•)

د. حسن عوض الكريم علي أحمد

المستخلص

تناولت هذه الدراسة تجربة الحكومات الانتقالية في السودان (١٩٥٤م - ١٩٨٦م). تأتي أهمية هذه الدراسة في أنَ هذه التجربة تكررت ثلاث مرات في تاريخ السودان المعاصر. لذلك هدفت الدراسة لمعرفة وفهم الظروف التي أدت إلى قيام هذه الحكومات وتقييم مدى نجاحها في تحقيق مهامها والكشف عن النتائج المترتبة عن قيامها. اشتملت الدراسة على ثلاث حكومات وهي حكومة الحكم الذاتي (١٩٥٤م – ١٩٥٦م) وحكومتي (١٩٦٤م - ١٩٦٥م) و (١٩٨٥م-١٩٨٦م). اتضح من الدراسة ارتباط قيام هذه الحكومات بمقاومات ومعارضة الأنظمة السابقة واتسمت الحكومات الثلاث بالصراع الحزبي وتعددها وعدم استقرارها. كما ظلت مشكلة الجنوب عقبة كؤود لهذه الحكومات. أكدت هذه الدراسة على أنَ الحكومات الثلاث التزمت بقيدها الزمني وانتخبت حكومات بديلة لها. إلا أنَ ضيق المدى الزمني لهذه الحكومات ماعدا الحكومة الأولى كان سبباً في عدم إنجاز كل مهامها.

Abstract

This study examines the experience of transitional governments in Sudan (1054-1986). The importance of this study comes from the fact that it was repeated three times in the contemporary history of Sudan, therefore this study aims to present and discuss the circumstances that led to the establishment of these governments and to evaluate the extent of their success in achieving their gools, and reveals the results from their establishment. The study covers three governments. The self-rule government (1954-1956) and two governments (1965-1966) and (1985-1986). This study shows that the establishment of these governments is linked with the resistance and opposition against the regimes. The three governments were characterized by party conflict multiplicity and instability. The problem of the south remained a stumbling block

(•) أستاذ مساعد - قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة شندي

أستاذ مشارك - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة شندي

for these governments. This study confirms that the three governments adhered to their time limits and elected alternative governments, but the stated period for these governments except the first one was a main reason for obstructing completion of set tasks.

تجربة الحكومات الانتقالية في السودان " ١٩٥٤- ١٩٨٦م"

انعطفت الحركة الوطنية في السودان منذ أربعينيات القرن العشرين إيجاباً بفضل قيام الأحزاب السياسية، ومع تصاعد المد السياسي في السودان كان لا بُد أن تنظر دولتي الحكم الثنائي بعينٍ جديدةٍ إلى الوضع في السودان، وهذا ما حدث تماماً عندما وصل ضباط مصر الأحرار إلى السلطة في يوليو من العام ١٩٥٢م، رأى ضباط مصر الأحرار عقِب الاطاحة بنظام الأسرة الخديوية التي تربعت على عرش السلطة في مصر منذ العام ١٨٠٥م العمل على حل مشكلة السودان أولاً ومن ثم التطرق إلى موضوع جلاء القوات البريطانية عن مصر وسنحت الفرصة عندما دعت جميع الأحزاب السودانية إلى مصر في العام ١٩٥٣م ماعدا حزب الحركة السودانية للتحرر الوطني "حستو" والأحزاب الجنوبية. طفقت كتابات المسئولين البريطانيين إلى منسوبيهم في السودان تفيد بإعطاء السودانيين حرية الاختيار في جو بعيد عن الوصاية وتضييق الخناق فيما يتعلق بتحديد الوضع الدستوري الذي يرونه مناسباً. نصَت اتفاقية الحكم الذاتي الموقعة بين بريطانيا ومصر في " ١٩٥٤/٢/١٢م " على منح السودان حق تقرير المصير على أن تسبق ذلك فترة حكم ذاتي لا تزيد عن ثلاث سنوات مع وجود الحاكم العام رمزاً للسلطة تعاونه لجنة خماسية في إدارة شئون البلاد بما فيها لجنتي السودنة والانتخابات، ومن هنا كانت الضرورة تقتضي وجود حكومة انتقالية تقوم بإجراء الانتخابات في نهاية الفترة الانتقالية.

شَهِدت الفترة الممتدة ما بين العامين "١٩٥٤- ١٩٨٦م" قيام ثلاث حكومات انتقالية في السودان، وهي الحكومات التي أعقبت الفراغ الدستوري الذي نجم عن اتفاقية الحكم الذاتي الموقعة بين بريطانيا ومصر الموقعة في "١٩٥٣/٢/١٢م" وثورتي أكتوبر ١٩٦٤م وأبريل ١٩٨٥م على التوالي. اختلفت حكومة الفترة الانتقالية الأولى الممتدة ما بين العامين "١٩٥٤- ١٩٥٦م" عن حكومتي الفترتين الانتقاليتين الأُخريتين بسبب أنَ حكومة الفترة الانتقالية الأولى أوجدها الفراغ الدستوري الذي نجم عن توقيع اتفاقية الحكم الذاتي آنفة الذكر وبالتالي كانَ وجودها حتمياً بسبب الظروف التي أفرزها الوضع

الجديد، أما فيما يتعلق بالفترتين الانتقاليتين الأخريتين فهما تتشابهان في كثيرٍ من العموميات وتختلفان في قليلٍ من التفاصيل، حيث انَ كلتا الفترتان أعقبتا الإطاحة بنظام عسكري والذي بدوره انقلب على السُلطة المدنية المنتخبة، وهكذا شهد العام ١٩٥٨م انقلاب الفريق إبراهيم عبود على الحكومة المنتخبة برئاسة عبد الله بك خليل. استمر الحكم العسكري ست سنوات وسُرعان ما عصفت به ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، وعلى إثر ذلك تشكلت حكومة الفترة الانتقالية الثانية التي تسلم فيها مقاليد رئاسة الوزراء سِر الختم الخليفة في الفترة ما بين العامين "١٩٦٤- ١٩٦٥م". أما فيما يتعلق بالفترة الانتقالية الثالثة "١٩٨٥ – ١٩٨٦م" والتي جاءت في أعقاب الإطاحة بنظام الرئيس جعفر نميري وهي الحكومة التي ترأسها الصادق المهدي كرئيس للوزراء وأحمد الميرغني كرأساً للدولة. اقتضت الضرورة في نهاية كل فترة من الفترات الانتقالية في السودان قيام الانتخابات بشقيها الرئاسي والبرلماني والتي بدورها أفضت إلى تكوين الحكومات الديمقراطية المنتخبة. لم تُعمر جميع الحكومات الديمقراطية كثيراً بحيث أنَ مجموع السنين التي عاشتها التجربة الديمقراطية في السودان في الفترة ما بين العامين "١٩٥٤-١٩٨٩" لم تتجاوز الإحدى عشرة عاماً.

أولاً: تجربة الحكومة الانتقالية الأولى "١٩٥٤م – ١٩٥٦م":

إنَ التغيير الذي تمَ في مصر في في سنة ١٩٥٢م قَبِل بحق تقرير مصير السودانيين الأمر الذي قادَ لتوقيع اتفاقية الحكم الذاتي مع بريطانيا في سنة ١٩٥٣م مما مهد لإجراء الانتخابات وتشكيل حكومة سودانية لتقرير مصير السودان وهي أول تجربة لأول حكومة انتقالية في تاريخ السودان المعاصر.

انتخابات نوفمبر ١٩٥٤م وتشكيل الحكومة الانتقالية الأولى:

تكونت لجنة الانتخابات الدولية التي أشرفت على انتخابات العام ١٩٥٤م من أربعة أعضاء أجانب يمثلون دولهم وهم:

١ / د. سوكا مارسن مندوب الهند ورئيس اللجنة.

٢/ القائمقام عبد الفتاح حسن مندوب مصر.

٣/ المستر واويل بيركنز ممثل أمريكا.

٤/ المستر ج. س . بنى ممثل بريطانيا.

أما الأعضاء السودانيون فقد كانوا ثلاثة وهم:

أ/ البكباشي خلف الله خالد.

ب/ السيد عبد السلام الخليفة عبد الله.

ج/ السيد غردون بولي ممثلاً للإقليم الجنوبي.

أُختير لسكرتارية اللجنة الإدارية السيد / حسن علي عبد الله (محمد إبراهيم الطاهر ، د.ت ، ص: ٢٢). حَدَدَت المادة ٤ من الدستور شروط عضوية البرلمان على السودانيين فقط على أن لا يقل عمر المتقدم عن ٤٠ سنة بالنسبة لمجلس الشيوخ و ٣٠ سنة بالنسبة للبرلمان، أما مجلس النواب فكان يقبل الترشيح في سن الثلاثين أو أقل. قامت لجنة الانتخابات بزيادة عدد الدوائر الانتخابية إلى ثمانية دوائر يكون فيها الانتخاب انتخاباً مباشراً وستجرى الانتخابات المباشرة في المناطق قليلة السكان .(نصيف باسل نصيف جبر،٢٠١٧ م، ص :٢١٧) أي أنَّ الانتخابات كانت ذات جانبين: انتخاب مباشر في مواقع المدن والوعي، أوعن طريق الانتخاب غير المباشر في مناطق التخلف على غِرار بعض مناطق الجنوب وبعض مناطق جبال النوبة بواسطة ذوي الأهلية من أعضاء المجالس الريفية في تلك المناطق، وشهدت هذه الانتخابات نحو ٢٢ مندوب يمثلون الصحف العالمية ووكالات الأنباء وأجهزة الإعلام العالمية (محمد إبراهيم الطاهر، مرجع سابق، ص :٢٢).

في مجلس الشيوخ حصلَ الحزب الوطني الاتحادي على ٢٢ مقعداً من جملة ٣٠ مقعداً، أما حزب الأمة فحصل على ثلاثة مقاعد ومثلها حزب الأحرار الجنوبي (نصيف باسل نصيف جبر، مرجع سابق، ٢١٨) وفي مقاعد البرلمان الـ ٩٢ حصل الحزب الوطني الاتحادي على ٥٣ مقعداً، بينما تحصل منافسه حزب الأمة على ٢٢ مقعداً، وفي ذات الوقت تحصل حزب الأحرار الجنوبي على ٧ مقاعد. وفي دوائر الخريجين فقد كان للحزب الوطني الاتحادي ٣ مقاعد ولحزب الأمة مقعد واحد وللحزب الشيوعي كذلك مقعد واحد (محمد إبراهيم الطاهر، مرجع سابق، ص ٢٢). يرى محمد أحمد محجوب أنَ مصر دعمت الاتحاديين بالمال والدعاية بحملات منظمة قادها الصاغ صلاح سالم الذي وحدَ حزبي وحدة وادي النيل والأشقاء في الحزب الوطني الاتحادي في العام ١٩٥٢م. أما بريطانيا فقد جاءت بفكرة إضعاف نفوذ عبد الرحمن المهدي عن طريق القبلية فظهر على المسرح السياسي حزب زعماء القبائل وهو الحزب الاشتراكي الجمهوري الذي ظهر في العام ١٩٥١م (محمد أحمد محجوب، د.ت، ص ٥٢).

بانتهاء الانتخابات تشكلت أول حكومة انتقالية في "٩ يناير١٩٥٤م" كما يلي:

١/ إسماعيل الأزهري رئيس الوزراء ووزير الداخلية.

٢/ خلف الله خالد وزارة الدفاع.
٣/ ميرغني حمزة المعارف والزراعة والري.
٤/ حماد توفيق المالية.
٥/ محمد الأمين السيد الصحة.
٦/ مبارك زروق المواصلات.
٧/ إبراهيم المفتي التجارة والاقتصاد.
٨/ علي عبد الرحمن الأمين العدل.
٩/ سانتينو دينق الثروة الحيوانية.

وإثنان من وزراء الدولة هما بلين أليير بيور وداك داى (محمد محمد أحمد كرار، ١٩٩٩م، ص١).

تَشَكلت الحكومة الانتقالية الأولى من الحزب الوطني الاتحادي الذي أحرز أغلبية مريحة في الانتخابات وأُنتخب إسماعيل الأزهري رئيساً للوزراء وأصبح محمد أحمد محجوب زعيماً للمعارضة في البرلمان والتي تكونت من حزب الأمة والاستقلاليين وحزب الأحرار الجنوبي. عمِلت هذه الحكومة في جو يسوده الصراع الحزبي ولم تعرف الانسجام والتفاهم (فدوى عبد الرحمن علي طه، ٢٠٢٢، ص :١). هكذا جاءت الحكومة الانتقالية الأولى في العام ١٩٥٤م نتيجة لمجهودات الحركة الوطنية السودانية في مقاومة الحكم الثنائي ممثلةً في مؤتمر الخريجين والأحزاب السودانية التي نشأت في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين (حسن عوض الكريم علي وسلفادور أتير أشويل ،٢٠٢٢، ص ٦١) وهكذا كان لزاماً على هذه الحكومة أن تُقرر مصير الشعب السوداني أما بالاتحاد مع مصر أو الاستقلال التام خلال فترة الانتقال من أول سنة ١٩٥٤م إلى أول سنة ١٩٥٦م.

أحداث مارس ١٩٥٤م:

حُدِدَ يوم "١ مارس ١٩٥٤م" موعداً لافتتاح البرلمان رسمياً ووجهت الدعوات لبريطانيا ومصر وسائر الدول العربية والافريقية كي ترسل ممثلين عنها. جاء مستر سلوين لويد وكان وزير دولة للشئون الخارجية لتمثيل بريطانيا، وجاء ممثلاً عن مصر الرئيس محمد نجيب ومعه الصاغ صلاح سالم. تسارعت الأحداث عندما أحضر راعى جهة الاستقلال عبد الرحمن المهدي الألوف من مؤيديه من الأنصار إلى الخرطوم قادمين من المناطق المجاورة للترحيب باللواء نجيب والضيوف، ولما تجمع الأنصار في الساحة الغربية للقصر

ظنت الشرطة أنهم يحاولون اقتحام القصر فصدرت الأوامر بتفريقهم إلا أنَ اندفاعهم أثار الرعب في الشرطة فاطلقت النار فوقع قتلى من الشرطة والمدنيين وأُلغي حفل الافتتاح (محمد احمد محجوب، مرجع سابق، ص ٥٥- ٥٦) .

فسَرَ عبد الماجد أبو حسبو سبب هذه الحادثة هو شكوك الأنصار وحزب الأمة في دعم مصر لفوز الاتحاديين ولذلك أتى السيد عبد الرحمن بالأنصار لمحاصرة السراي التي يوجد بها محمد نجيب (عبد الماجد أبو حسبو، ١٩٨٧م، ص ١٤٩-١٥٠)، بينما فسرت د . فدوى عبد الرحمن علي طه الحادثة بأنَ حزب الأمة انتهز هذه الفرصة للتعبير عن رغبته في الاستقلال التام أمام مرأى محمد نجيب وصلاح سالم، وجمع عبد الرحمن المهدي الأنصار لإيصال هذه الرسالة إلا أنَ النتيجة كانت صدام بين الأنصار والشرطة أدى لمقتل ٣٤ شخصاً (فدوى عبد الرحمن علي طه، مرجع سابق، ص، ٤١) وهكذا واجهت الحكومة الانتقالية الأولى أولى المصاعب بعد تشكيلها مباشرةً مما أدى لتأجيل افتتاح البرلمان إلى ٩ مارس ١٩٥٤م. اتخذ الحاكم العام هذه الحادثة ذريعةً للتهديد بإعلان تعطيل الدستور.

السودنة:

تُعد السودنة من أهم الأعمال التي أنجزتها الحكومة الأولى، وبموجب المادة ٨ من اتفاقية الحكم الذاتي تشكلت لجنة السودنة في "٢٠ فبراير ١٩٥٤م " من ثلاثة أعضاء سودانيين هم : السيد إبراهيم يوسف سليمان و محمود الفضلي و عثمان يوسف أبو عكر و عضو بريطاني هو مستر بيرنت **R.R. Burnett** وعضو مصري هو عبد الحميد داؤد، وعضو من لجنة الخدمة المدنية بصفة استشارية لا يحق له التصويت . حددت لائحة اللجنة أن يتناوب الأعضاء السودانيين الثلاثة على الرئاسة الدورية للجنة ولمدة شهر واحد. تولى الدورة الأولى عثمان أبو عكر. وكان وزير الخارجية قد وجه العضو البريطاني أن تنتقل السلطة للسودانيين بالسرعة والنظام اللازمين وأن تتم معاملة البريطانيين في السودان معاملة حسنة. وقعت على عاتق اللجنة مهمة إكمال سودنة الإدارة والشرطة وقوة دفاع السودان (محمود صالح عثمان، ٢٠٠٢، ص: ٥٦). كان من المتوقع أن يغادر حوالي ٩٠٪ من الموظفين البريطانيين في أول يوليو ١٩٥٥م، وتبنت بريطانيا سياسة تسوية التعويضات لجعل السودنة سريعة وممكنة بحلول يوليو سنة ١٩٥٥م باستثناء الحاكم العام وموظفي مكتبه وكذلك الموظفين البريطانيين الذين يرغب السودانيون في بقائهم

(نفس المصدر، ص، ١٤١). صدرَ قانون ينص على تعويض الموظفين السابقين وعددهم حوالي ١١١١ بريطاني و١٠٨ مصري مقابل خدمتهم بعد أن أُحيلوا للتقاعد.

أكملت لجنة السودنة أعمالها في " ٢ أغسطس ١٩٥٥م" وتمت سودنة ٨٠٠ وظيفة كان نصيب الجنوبيين منها ستة، الأمر الذي أثار حفيظتهم هنا تدخل الأزهري ووعدهم بإعطائهم عدد إضافي من الوظائف (نصيف باسل نصيف جبر، مرجع سابق، ص ٢٢٠). وهكذا أنهت لجنة السودنة من أعمالها بعد عام ونصف واختُصِرت المدة المحددة لها بمقدار النصف وحُرِم السودان من الاحتفاظ بأكبر عدد من الموظفين لضمان الكفاءة الإدارية، ولم تتدخل اللجنة في الهيئات شبه المستقلة مثل كلية الخرطوم الجامعية ومجلس إدارة مشروع الجزيرة وشركة النور لعدم ارتباط هذه الهيئات مباشرة بالخدمة المدنية أو السياسية (فدوى عبد الرحمن علي طه، مرجع سابق، ٧). وهكذا كانت نتيجة السودنة مخيبة لآمال الجنوبيين لدرجة كبيرة، إذ حصلوا على ست وظائف فقط من جملة ٨٠٠ وظيفة "أربعة مساعد مفتش ومأمورين" (تقرير لجنة التحقيق، د.ت، ص، ١٣٤)، وبررَ محجوب ذلك بفضل الأقدمية والخبرة والتدريب لدى الشماليين (محمد أحمد محجوب، مرجع سابق، ٢١٠). كذلك لم يتم تمثيل أبناء الجنوب في لجنة السودنة ولا في لجنة الخدمة العامة وحصلوا على ثلاثة وزراء من جملة ١٦ وزيراً، إثنان منهم بدون حقائب هذا بالإضافة للتفاوت في الرواتب بين الشماليين والجنوبيين مما أدى لخيبة أمل الجنوبيين (محمود صالح عثمان، ١٩٥٤، ص، ١٣١-١٣٥).

الجلاء وإعلان الاستقلال:

بناءً على القانون الأساسي للحكم الذاتي كانت الخطوة الثانية بعد السودنة هي جلاء القوات البريطانية والمصرية. واجهت الحكومة عقبة أخرى قبل الجلاء وهو تمرد توريت بإقليم الإستوائية في "١٨ أغسطس ١٩٥٥م" (محمد أحمد محجوب، مرجع سابق، ص ٥٧) كانت هذه الأحداث بسبب رفض جنود وقائد البلك رقم (٢) تنفيذ أوامر النقل للخرطوم للمشاركة في استقلال البلاد (محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٣٥). معتبرين أنَ هذه مصيدة وذريعة لقتلهم هناك. استمرت هذه الاضطرابات أربعة عشرة يوماً، كان أكثر المتأثرين بها الشماليين حيث أُزهقت أرواحهم ونُهِبت ممتلكاتهم (تقرير لجنة التحقيق، مصدر سابق، ص ٣٧). وصفت الحكومة المشاركين في الأحداث بالمتمردين وتمت محاكمة من تم القبض عليهم وفرَ بعضهم للأدغال (محمد أحمد محجوب، مرجع سابق، ص: ١١١). أجاز مجلس النواب قراراً بإجلاء القوات البريطانية

والمصرية من السودان في "١٦ أغسطس ١٩٥٥م" وذلك وفقاً للمادة ١١ من اتفاقية الحكم الذاتي وتقرير المصير، على أن تتعهد الحكومتان بإتمام سحب قواتهما من السودان في مدى فترة لا تتعدى ثلاثة أشهر (فدوى عبد الرحمن علي طه، مرجع سابق ،٩). اكتمل انسحاب القوات الأجنبية من السودان وهكذا غادرت آخر كتيبة بريطانية السودان في "١٠ نوفمبر ١٩٥٥م" وودعها جمهور كبير بمن فيهم الأزهري نفسه (محمود صالح عثمان، مصدر سابق، ص، ١٤٦).

ظلَ الحزب الوطني الاتحادي حاكماً للبلاد بيدَ أنَ أغلبية مقاعده أخذت تتناقص بعد أغسطس من العام ١٩٥٥م واستطاعت المعارضة في نوفمبر سنة ١٩٥٥م من إلحاق الهزيمة بحكومة الوطني الاتحادي إلا أنَ المعارضة لم تتح لها الفرصة التمتع بثمار انتصارها حيث أنَه وبعد يومين فقط من تشكيل حكومة المعارضة وخلافاً لكل التوقعات عاد البرلمان مؤيداً للوطني الاتحادي (محمد عمر بشير، ١٩٨٧م، ص، ٢٢٤)، وذلك عندما عاد أربعة نواب خرجوا عن الحزب الوطني الاتحادي للحزب مما أدى لفوز إسماعيل الأزهري بـ ٤٨ صوت مقابل ٤٦ صوت لميرغني حمزة. كما أدى تخوف الطائفية من زيادة نفوذ الأزهري فكان لقاء السيدين في "١ ديسمبر ١٩٥٥م" وناديا بحكومة قومية، وكان هذا اللقاء وبالاً ومعيقاً لأداء الحكومة في الفترة التي أعقبت الاستقلال (فدوى عبد الرحمن علي طه، مرجع سابق، ص، ٥).

اتفقَ الجميع "حكومة ومعارضة" على الخطوة الثانية وهي إعلان الاستقلال وكان شعار الحزب الوطني مجرد تكتيك ولم يكن هدفاً. تم الاتفاق بين الأزهري ومحجوب في "١ ديسمبر ١٩٥٥م" على إعلان الاستقلال. في ١٥ ديسمبر من نفس العام أعلنَ رئيس الوزراء من داخل أروقة رئاسة الوزراء أنَه بصدد اعلان استقلال السودان في الاسبوع القادم وعمَ الفرح الحاضرين، أما أعضاء حزب الأمة فاختلطت عليهم مشاعر الفرح والاضطراب وهي مشاعر مزدوجة لطالما عبَر عن موقفهم شخص من حزبٍ آخر. وتم الطواف على جميع الأحزاب لضمان الإجماع. وكانت هناك صعوبة في إقناع الجنوبيين والذين تم التعهد لهم بأن تنظُر الجمعية التأسيسية في مطلبهم بالحكم الفدرالي. (محمد أحمد محجوب، مرجع سابق، ص، ٥٨) وبذلك أمسك إسماعيل الأزهري بزمام المبادرة ولم يعد بحاجة لائتلاف لتحقيق هدفه المباشر وهو الاستقلال ورئاسة الوزراء وبذلك أجبر المعارضة على التضامن مع الحكومة، ولما قُدِم الاقتراح لمجلس النواب في "١٩

ديسمبر ١٩٥٥م" أُجيز بالإجماع ووافق عليه مجلس الشيوخ في ٢٢ ديسمبر (محمود صالح عثمان، مصدر سابق، ص، ١٩).

بجانب قرار اعلان الاستقلال تقررَ تعيين رئيس دولة، ولكن حتى ذلك الحين تحتمَ وجود مجلس أعلى لتسيير شئون الدولة، هنا أُقترح تكوين مجلس سيادة من خمسة أعضاء. والأعضاء المختارون هم: عبد الفتاح محمد المغربي، محمد احمد ياسين، سرسيو إيغو ويري، أحمد محمد صالح ومحمد عثمان الدرديري، وبالتالي كانَ المجلس جزءً أصيلاً في هيكل الحكم الانتقالي غداة الاستقلال، مثلَ المجلس السودان في المحافل الدولية، وكانت رئاسة المجلس دورية شهرٌ لكل عضو بالتناوب.

حُدِدَ للاستقلال اليوم الأول من يناير سنة ١٩٥٦م حيث نهضَ الشعب مبكراً وملأ شوارع العاصمة الخرطوم فرحاً ثم أقسم أعضاء مجلس السيادة ورئيس الوزراء اليمين ثم سار الموكب للقصر الجمهوري للاحتفال الرسمي بإنزال علمي الحكم الثنائي وإنشاد النشيد الوطني الجديد ورفع العلم (محمد أحمد محجوب، مرجع سابق، ص، ٥٩-٦٠). وبذلك تكون البلاد قد دخلت مرحلة جديدة من مراحلها وهكذا خرجت من بُرثن المحتل وبدأت تتلمس معالم الطريق نحو المستقبل. واجهت حكومة إسماعيل الأزهري بعد الاستقلال سلسلة من المتاعب والمشاكل الإدارية مما حدا به تشكيل حكومة ثانية أوسع مشاركةً برئاسته نفسه في فبراير ١٩٥٦م (محمد محمد أحمد كرار، مرجع سابق، ص، ١) وتفاقمت الأزمة وازدادت المعارضة ضد حكومة إسماعيل الأزهري بسبب أحداث عنبر جودة بالنيل الأبيض في "فبراير سنة ١٩٥٦م"، تقدمت مجموعة من مزارعي مشروع النيل الأبيض الزراعي في فبراير من العام ١٩٥٦م بورقة مطلبية لإدارة المشروع تتعلق بتوزيع أرباح العائدات ، وتطور الأمر لمواجهات مع الشُرطة حيث أُعتقلَ على إثرها حوالي ٢٨١ شخصاً وأُودعوا في عنبر يبدو أنه كانَ مستودعاً لتخزين المبيدات الحشرية الأمر الذي أدى إلى وفاة ١٩٥ شخصاً منهم اختناقاً. ورغم أنَ الحكومة دفعت تعويضات لأسر الموتى إلا أنَها واجهت نِقداً حاداً من كل التنظيمات النقابية في البلاد (فدوى عبد الرحمن علي طه، مرجع سابق، ص، ٢٠-٢١).

استمرت الصراعات الحزبية بهدف اسقاط الحكومة الانتقالية الأولى "١٩٥٤- ١٩٦٥م" وتبلورت الخطة بلقاء السيدين علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي، ولذلك أقام السيد علي الميرغني حزب الشعب الديمقراطي المنشق عن الحزب الوطني الاتحادي واختار لرئاسته علي عبد الرحمن الأمين (عبد الماجد أبو حسبو، مرجع سابق، ص،١٦٠) بغرض

اضعاف نفوذ الحزب. وهكذا جرت انتخابات برلمانية أسفرت عن استبدال حكومة الوطني الاتحادي بحكومة ائتلافية من حزب الأمة وحزب الشعب الديمقراطي وحزب الأحرار الجنوبيين في يوليو ١٩٥٦م. وكانت كغيرها من الحكومات السابقة أكثر اهتماماً بالبقاء في كرسي الحكم أكثر من إيجاد الحلول لمشاكل البلاد (محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص، ٢٢٤).

مما سبقَ يتضح لنا أنَ اتفاقية الحكم الذاتي تحولت إلى دستور انتقالي وتكونت بموجبها الحكومة الانتقالية الأولى في يناير ١٩٥٤م، ركزت هذه الحكومة على السودنة والجلاء وتقرير المصير ونجحت في ذلك بإعلان الاستقلال وبالإجماع في ديسمبر سنة ١٩٥٥م. إلا أنَ هذه الحكومة واجهت عدة مصاعب منها أحداث مارس ١٩٥٤م وتمرد توريت في أغسطس ١٩٥٥م وأحداث جودة في فبراير ١٩٥٦م. كما أدى النزاع والخلاف بين الأحزاب السياسية التي قامت على أسس طائفية وقبلية ولم تكن لديها برامج موحدة ومتناسقة إلى عدم الاستقرار.

ثانياً: تجربة الحكومة الانتقالية الثانية " ١٩٦٤- ١٩٦٥م":

ثورة أكتوبر ١٩٦٤م:

قادَ الفريق إبراهيم عبود أول انقلاب عسكري في تاريخ السودان المعاصر وهو في الواقع استلام للسُلطة من رئيس وزرائها عبد الله خليل عندما تفاقمت الخلافات داخل الأحزاب نفسها وفيما بينها (عبد الله علي إبراهيم، ٢٠١١، ص ٣٤)، سرعان ما عمل العسكر على تكميم الأفواه ومصادرة الحريات. كانت المعارضة للنظام العسكري خلال السنوات الست التي قضاها قوامها جُل الأحزاب السودانية وبطبيعة الحال الحزبين الكبيرين وهما : حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي، اتصلَ بعض من قيادات الحزبين الكبيرين سراً بالحزب الشيوعي السوداني من أجل توسيع الجبهة الداخلية لإسقاط حكم العسكر (الصادق المهدي، د.ت، ص١٢؛ ذكي البحيري، ١٩٩٦، ص١٢٩)، فضلاً عن مناهضة النقابات والتنظيمات المدنية الأخرى بجانب طلاب المدارس الثانوية والمعاهد العليا، والواقع أن الحركة الطلابية بدأت تنهض منذ ثلاثينيات القرن العشرين بإنشاء اتحاد طلاب المدارس العليا (محمد سعيد القدال، ١٩٩٢: ص ٢٠٤). عارضَ طلاب جامعة الخرطوم الحكم الشمولي حيث تمكنوا من استقطاب عددٍ كبيرٍ من الخريجين والمثقفين السودانيين كما استدروا عطف الرأي العام. تعزَزَ هذا الاستقطاب مع مرور الزمن ومع تزايد بروز فشل النظام العسكري، ولعب التوسع الذي تحقق في التعليم منذ الاستقلال

والتزايد الذي تلى ذلك في عدد الذين التحقوا بالوظائف المختلفة في الخدمة المدنية دوراً مهماً في إسقاط النظام العسكري (ناصر السيد، ١٩٩٠، ص ٢٣٤)، فمنذ اليوم الأول للانقلاب العسكري في "١٩٥٨/١١/١٧م" الذي جثم على صدر البلاد ست سنوات كان همه الأول السيطرة علي الدولة (بيتر ودوارد، ٢٠٠٢، ص ٣٦).

اسباب سقوط حكومة نوفمبر١٩٥٨م:

تجمعت عدة أسباب أدت في مجملها لسقوط حكومة نوفمبر١٩٥٨م وأهمها:

١- مصادرة الحريات السياسية والنقابية والصحافية.

٢- احجام الحكومة عن مساندة بعض من حركات التحرر الوطني في افريقيا.

٣- تهجير مواطني وادي حلفا وقراها إلى خشم القربة لكي تكون موطناً جديداً لهم مما أدى إلى حدوث الجفوة بين الحكام العسكريين والقوة السياسية والنقابية والطلابية.

٤- انتشار الشائعات عن تورط رجال الحكومة في قضايا الفساد الأخلاقي وشبهات الثراء الحرام (حسن عوض الكريم علي وسلفادور أتير أشويل، مرجع سابق، ٢٠٢٤، ص١١٩).

٥- فشلت كل المحاولات الرامية لتحسين الحالة السياسية والاقتصادية في الشمال والجنوب على حد السواء.

٦- أسلوب القمع والتهديد الذي اتبعته الحكومة في مواجهة معارضيها.

ظلَت القوى المدنية تقاوم وتناضل وأخذ نضالها يتوسع ويزداد عمقاً وأخذ النظام العسكري يزداد عزلةً عن الجماهير وتزداد الأزمة حدةً وتفاقماً (محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص٢٧٦). لم تفلح جميع أساليب البطش والتنكيل التي كان يتبعها النظام العسكري من سجون ومعتقلات ومشانق ورصاص في صد تيار الحركة الشعبية الصاعدة التي تُوج نضالها بالإضراب السياسي العام وثورة أكتوبر١٩٦٤م (أحمد حمروش، د.ت، ص ١٠٢).

وقفت الأحزاب المناضلة منذ قيام الانقلاب العسكري حتى اندلاع الثورة بشجاعة وثبات (روبرت أو كولينز، ٢٠١٥، ص ٣٦). تعاملت الحكومة مع الوضع بقوة وهكذا أودعت أغلب قادة الأحزاب في المعتقلات، ولم يكن البطش الذي يتعرضون له ليزيدهم إلا إصراراً على النضال (محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٧٨). تكونت جبهة وطنية من جميع القوى السياسية والمهنية التي ساهمت في اسقاط النظام العسكري أطلق عليها مسمى

"جبهة الهيئات" ومن ثم طُرِح منهج سياسي يكون بمثابة دليل للعمل وهو ما عُرَف "بالميثاق الوطني" (نفسه، ص ٢٧٩). **تضمن الميثاق الوطني المبادئ الآتية:**

أولاً - تصفية الحكم العسكري الحالي.

ثانياً - إطلاق الحريات العامة كحرية الصحافة والتعبير والتنظيم والتجمع.

ثالثاً - رفع حالة الطوارئ وإلغاء جميع القوانين المقيدة للحريات.

رابعاً - تأمين استقلال القضاء.

خامساً - تأمين استقلال الجامعة.

سادساً - إطلاق سراح جميع المعتقلين من المدنيين في قضايا سياسية.

سابعاً - أن ترتبط الحكومة الانتقالية بانتهاج سياسة خارجية ضد الاستعمار والأحلاف.

كانَ إسقاط الحكم العسكري واستعادة الحكم الديمقراطي مرةً ثانيةً إلى البلاد هدفين رئيسيين لحركة الطلاب وهذا ما جعلهم في تلك الأيام حلفاء جاهزين للأحزاب السياسية المحظورة ولا سيما الحزبين الكبيرين "الحزب الوطني الاتحادي بقيادة إسماعيل الأزهري وحزب الأمة بقيادة الصادق المهدي"، ولم يكن لهذين الحزبين أنصار كثيرون بين الطلاب كما كانَ للشيوعيين والإخوان المسلمين، لقد كان الطلاب ولا سيما زعماؤهم الأكثر ميلاً إلى الصدام مع النظام ينتمون إلى الحركة الإسلامية أو إلى الحركة الشيوعية أو التنظيمات اليسارية كالاشتراكيين والناصريين والقوميين العرب. تلك كانت المجموعات العقائدية التي بدأت تتغلغل في الحياة السياسية بين الطلاب وإلى حدٍ ما بين الخريجين والمثقفين (ناصر السيد، مرجع سابق، ص ٢٣٥).

أدَت المنافسات بين الفئات العقائدية والانقسامات فيما بينها إلى إذكاء الأفكار. وأخذت الحركة الإسلامية تتبنى أساليب الشيوعية الأكثر فعالية في التنظيم كالمنافسة في قيادة اتحاد الطلاب أولاً ثم على قيادة النقابات العمالية ثانياً. أخذ الشيوعيون يتبنون بعض الشعارات الإسلامية التي تجذب الجمهور وتدفع عنهم تهم الإلحاد في مجتمع إسلامي متماسك. ودعوا مثلاً إلى احترام الثقافة العربية والإسلامية أساساً للتراث القومي ووصفوا الإسلام بأنه قوة الجماهير العاملة في صراعهم من أجل الكرامة والحرية القومية والاشتراكية على الرغم من وجهة النظر الماركسية التي تصف الدين بأنه "أفيون الشعوب"، وأدى ذلك إلى تبني الأحزاب السياسية الكبرى في البلاد شعارات الاشتراكية والإسلام والدستور الإسلامي (محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص٢٧٨). في العام ١٩٦٤م كانت المعارضة لتدابير الجيش القمعية في الجنوب نقطة الالتقاء لكل فئات

الطلاب في جامعتي الخرطوم والقاهرة فرع الخرطوم وقضية مباشرة للاصطدام بالحكومة العسكرية. حاولت الحكومة العسكرية أن تمنع اقامة ندوة طلاب جامعة الخرطوم، أُقيمت الندوة بداخلية عطبرة الجديدة لمناقشة قضية الجنوب، قبيل الحديث عن قضية الجنوب تطرق المسئول الثقافي لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم للتعريف بالظروف والملابسات المحيطة بالبلد، وانتقد سياسة الحكومة التي رمت إلى تكميم الأفواه وكبت الحريات (السياسة، العدد، ١١١، ١٩٨٦). اصطدم الطلاب بالشرطة التي سرعان ما أطلقت عليهم النار فقتلت أحدهم وهو أحمد القرشي طه الطالب بكلية العلوم وأصابوا آخرين بجروح وهم: "عثمان الأمين البلك، خالد نجم الدين، خالد الحاج، حسن الوديع السنوسي، الأمين عبد الله وبابكر حسن عبد الحفيظ"، وبذلك اقترنت كل الأحداث التي أدت إلى تنحي العسكر عن السلطة (أحمد بابكر محمد الخير، ٢٠١١، ص١٧٩). حدث ذلك في مساء الخميس "٢١ أكتوبر ١٩٦٤م" ويبدو أنَ هذه الأحداث كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير. وفي يوم الجمعة احتشد الألوف من الناس في الخرطوم لتشييع جنازة الطالب القتيل أحمد القرشي طه (أحمد محمد شاموق، ١٩٦٩، ص ١٠٥). ثم تلى ذلك عدة مظاهرات وعقدَ أساتذة جامعة الخرطوم والمعاهد العليا "المعهد العلمي والمعهد الفني" في جامعة الخرطوم اجتماعاً هاماً قرروا فيه الاستقالة وعدم استئناف العمل ما بقى الحكم العسكري في البلاد، وسُرعان ما حذت حذوهم تنظيمات مهنية أخرى كالمهندسين والأطباء وأُعلن إضراب سياسي وانتشرت أخباره في جميع أنحاء البلاد وأعلن بعض ضباط الجيش على غرار : اللواء عوض عبد الرحمن صغير "رئيس المجلس المركزي ١٩٦٣- ١٩٦٤م وهو أحد أذرع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة الفريق إبراهيم عبود " ، اللواء الطاهر عبد الرحمن قائد القيادة الشرقية وحاكم إقليم كسلا، العميد محمد إدريس عبد الله والعميد أحمد الشريف تأييدهم للطلاب والمنظمات المهنية الأخرى (ناصر السيد، مرجع سابق، ص٢٣٦). تحت الضغط الشعبي المتواصل أعلن الفريق إبراهيم عبود عن حل كلٍ من المجلس العسكري الأعلى للقوات المسلحة ومجلس الوزراء مع احتفاظه بكامل السلطات الدستورية حتى اكتمال الوضع النهائي الذي يرتضيه الشعب الكريم، وكان ذلك من خلال البيان الذي أذاعه للشعب السوداني في مساء يوم الإثنين الموافق "١٩٦٤/١٠/٢٦م" (١/١/١٢، تقارير مصلحية، ١٩٦٤). أسفرت المفاوضات الطويلة

الشاقة بين ممثلي الجيش وممثلي المجموعات المهنية والأحزاب السياسية "الجبهة الوطنية الموحدة " في يوم الخميس الموافق "١٩٦٤/١٠/٢٩م" عن الآتي:

١- يظل الفريق إبراهيم عبود رئيساً للدولة.
٢- يتكون مجلس وزراء الفترة الانتقالية من خمسة عشر وزيراً، ثمانية منهم عن جبهة الهيئات، وخمسة من الأحزاب بحيث يُمنح كل حزب وزارة واحدة، بينما مُنِح الجنوبيون وزارتين.
٣- يتولى السيد سِر الختم الخليفة رئاسة مجلس الوزراء.
٤- رفع حالة الطوارئ في كل أنحاء البلاد ماعدا المناطق غير الآمنة.
٥- عدم تعريض حكام "١٧ نوفمبر ١٩٥٨م" العسكريين لمحاكمات إلا إذا كانَ الأمر متعلقاً بقضايا غير سياسية.
٦- أن تُحكم البلاد بدستور ١٩٥٦م المؤقت بعد تعديله بما يتوافق مع الميثاق الوطني.

وهكذا وتحت الضغط الشعبي المتزايد وإصرار الجبهة الوطنية الموحدة وبعض العسكريين تم حل كل من المجلس الأعلى للقوات المسلحة وهو أعلى سلطة عسكرية ومجلس الوزراء وهو أعلى سلطة سياسية في البلاد. وتمَ تكوين مجلس سيادة من "د. التجاني الماحي، إبراهيم يوسف سليمان، د. عبد الحليم محمد، د. مبارك شداد و لويس أدوك" وتداول أعضاء المجلس رئاسته دورياً بدءً بإبراهيم يوسف عن شهر ديسمبر ١٩٦٤م، مبارك شداد لشهر يناير ١٩٦٥، التجاني الماحي لشهر فبراير، لويس أدوك لشهر مارس وأخيراً عبد الحليم محمد لشهر أبريل (أحمد بابكر محمد الخير، مصدر سابق، ص ٢٧٨).

لم تكن أكتوبر هبة مؤقتة ضد النظام العسكري ولم تكن انفعالاً لحظياً وإنما في الواقع هي استمرار لنضالات وتضحيات وبطولات شعب عريق (الشريف الهندي، ٢٠٠٦، ص٢٠٦). وفي الوقت ذاته فِكر سياسي وتكتيكات واستراتيجيات لها دلالاتٍ ومعانٍ (عبد الله علي إبراهيم، مرجع سابق، ص٦٩).

حكومة ثورة أكتوبر ١٩٦٤م:

تقلدَ سِر الختم الخليفة مقاليد الحكم وأصبح رئيساً للوزراء في "١٩٦٤/١٠/٣٠م" وهي الفترة التي سُميت باسم حكومة أكتوبر القومية الأولى "١٩٦٤/١٠/٣٠- ١٩٦٥/٢/١٨م" (محمد محمد أحمد كرار، مرجع سابق، ص٢٢٥). عمَل رئيس الوزراء سِر الختم

الخليفة على تدعيم سلكه الوزاري بعدد من الجنوبيين لأنَه كان يطمح في خلق نوع من التوازن السياسي في حكومته من ناحية ولمعرفته السابقة بالجنوب وعناصره المستنيرة من ناحيةٍ أخرى " على خلفية عمله مفتشاً للتعليم بالجنوب في الفترة ما بين العامين "١٩٥٥-١٩٦٠م" (٤٩/١١/١، تقارير مصلحية، ١٩٦٤، أنظر أيضاً: أيمن كمال السيد، ٢٠٠٢، ص٥٥) كان ممثلو المجموعات المهنية أكثر عدداً من ممثلي الأحزاب السياسية الكبرى التقليدية "حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي وحزب الشعب الديمقراطي (الحياة، العدد: ١٠٤٤، ٢٠٠٦)، وكانت الأحزاب العقائدية من شيوعيين وأخوان مسلمين "الميثاق الإسلامي" ممثلة لأول مرة في السودان بوزير لكلٍ منهما على قدم المساواة مع الأحزاب السياسية الكبرى.

على كلِ شُكِلت الحكومة على النحو الآتي:

سِر الختم الخليفة رئيس الوزراء ووزيراً للدفاع

محمد أحمد المحجوب وزارة الخارجية

مبارك زروق المالية والاقتصاد

كلمنت أمبورو الداخلية

رحمة الله عبد الله التربية والتعليم

أحمد سليمان الزراعة والغابات

عبد الرحمن أحمد العاقب الأشغال والثروة المعدنية

د. أحمد السيد الري والقوة الكهربائية المائية

الأمين محمد الأمين الصحة

عبد الكريم ميرغني التجارة والصناعة والتموين

محمد صالح عمر الثروة الحيوانية

خلف الله بابكر الاستعلامات والعمل

عابدين إسماعيل الحكومات المحلية

الشفيع أحمد الشيخ شئون الرئاسة

أزبوني منديري المواصلات

عندما استنكرت الأحزاب التقليدية "الأمة، الحزب الوطني الاتحادي والأخوان المسلمون بأنَ بعض من ممثلي المجموعات المهنية في الوزارة شيوعيون أو موالون للشيوعيين وعلت الشكاوى والأصوات الناقدة كانَ لا بُدَ من إجراء تعديل على الحكومة برئاسة رئيسها

نفسه في "٢٤ فبراير ١٩٦٥م" فألغِى التمثيل المهني (محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٠٩). وتمثَل الجنوب في الوزارة الجديدة كما تمثل كل حزب من الأحزاب السياسية الكبرى بثلاثة وزراء لكل منها بينما تمثل الحزب الشيوعي وجبهة الميثاق الإسلامي بممثلٍ واحدٍ لكلِ واحدٍ منهما (نفسه، ص ١٨٨). **وهي الحكومة التي سُميت باسم حكومة أكتوبر القومية الثانية "٢/٢٤- ١٩٦٥/٣/٢١م" والتي تألفت من الآتي:**

سِر الختم الخليفة رئيس الوزراء ووزير الدفاع
مبارك زروق وزارة المالية والاقتصاد
محمد جبارة العوض الدولة وشئون الرئاسة
صالح محمود إسماعيل الاستعلامات والعمل
محمد احمد المحجوب الخارجية
محمد إبراهيم خليل الحكومات المحلية
أحمد المهدي الري والقوى الكهربائية المائية
كلمنت أمبورو الداخلية
أزبوني منديري المواصلات
هلري لوقالي الأشغال والثروة المعدنية
الرشيد الطاهر بكر الثروة الحيوانية

كانت أُولى الخطوات لهذه الحكومة في سبيل معالجة الأزمات وبخاصة قضية الجنوب هي قيام لجنة المائدة المستديرة في مارس من العام ١٩٦٥م (أبيل ألير، ١٩٧٠، ص٤٥). انعقد المؤتمر في الفترة ما بين "١٥- ٢٦ مارس ١٩٦٥م" والذي حضره مندوبو الأحزاب الشمالية وجنوبيون على غرار "عبد الخالق محجوب ممثلاً للحزب الشيوعي والصادق المهدي عن حزب الأمة وإسماعيل الأزهري عن الوطني الاتحادي وعلي عبد الرحمن عن حزب الشعب الديمقراطي، أما جبهة الميثاق فمثلها حسن الترابي وتمثلت جبهة الهيئات المدنية في شخص السيد عبد الله السيد. ترأسَ وفد سانو الداخلي وليم دينق، كما ترأس حزب سانو الخارجي أقري جادين، ومثلَ جبهة الجنوب وفد من لجنتها التنفيذية بقيادة غردون مورتات وأبيل ألير، وفي ذات الوقت كان هناك ممثلون جنوبيون لهم ثقلهم السياسي على شاكلة سانتينو دينق ورمضان أشول وأمبروز وول وفلمون ماجوك (٤٧١/١٧٦/١، تقارير مصلحية، ١٩٦٥).

ترأسَ اجتماعات المؤتمر البروفيسور النذير دفع الله مدير جامعة الخرطوم وسكرتارية البروفيسور محمد عمر بشير "السكرتير الأكاديمي للجامعة" ونذكر من مساعديه، محجوب محمد صالح، محمد أبراهيم أبو سليم، مدثر عبد الرحيم، عبد العزيز النصري، يوسف محمد، عثمان سيد أحمد، داريوس بشير وفيليب أوبانق (حسن عوض الكريم علي وسلفادور أتير أشويل، مرجع سابق، ص، ١٢٦). تباينت وجهات نظر الجنوبيون في ثلاثة آراء ترددت بين الدعوة إلى تقرير المصير، الانفصال والحكم الفدرالي (٢٤١/١٩/١، تقارير مصلحية، الجنوب، ١٩٦٥). أما مندوبو الأحزاب الشمالية فقد أصروا على وحدة السودان وعدم الانفصال وطُرِح نظام الحكم الاتحادي الإقليمي كحل عملي، وهكذا فشل المؤتمر في تحقيق المرجو منه بسبب عدم التوافق بين الأحزاب الجنوبية وتزمتهم وعدم اجادتهم لفنون التفاوض لقلة خبرتهم وتجربتهم، علاوةً على اتجاه أنظار المؤتمرين الجنوبيين إلى الانفصال فقط، بالإضافة إلى انقسام الأحزاب الجنوبية حيال العلاقة الدستورية وكذلك اتجاه أنظار الأحزاب السياسية للانتخابات. وهكذا لم تعط القضية الاهتمام المناسب (فتح الرحمن الطاهر عبد الرحمن، مصدر سابق، ص٢٠٢).

على الرغم من إجراء بعض التعديلات الوزارية في حكومة أكتوبر القومية الثانية إلا أنَ ذلك لم يمنع رئيس الوزراء سِر الختم الخليفة من إجراء تعديل طفيف على تشكيل الحكومة للمرة الثالثة بغرض اضفاء مزيد من الحيوية من ناحية ولكي تصبح أكثر قوميةً من ناحيةٍ أخرى، **وهكذا تشكلت حكومة أكتوبر القومية الثالثة "٣/٣١-١٩٦٥/٦/٧م" وهي على النحو الآتي:**

سِر الختم الخليفة رئيس الوزراء ووزير الدفاع
مبارك زروق وزارة المالية والاقتصاد
محمد جبارة العوض شئون الرئاسة
د. أحمد السيد التجارة والصناعة والتموين والتعاون
صالح محمود إسماعيل الاستعلامات والعمل
محمد احمد المحجوب الخارجية
محمد إبراهيم خليل الحكومات المحلية
أحمد المهدي الري والقوى الكهربائية المائية
كلمنت أمبورو الداخلية

أزبوني منديري المواصلات
هلري لوقالي الأشغال والثروة المعدنية ووزير المواصلات بالإنابة
الرشيد الطاهر بكر الثروة الحيوانية والعدل
الهادي عابدين الصحة
بدوي مصطفى التربية والتعليم

إنجازات حكومات الفترة الانتقالية الثانية "١٩٦٤- ١٩٦٥ م":

عمِلت حكومة ثورة أكتوبر ١٩٦٤م على إجراء الانتخابات في موعدها المحدد بإصرار رئيس الوزراء سِر الختم الخليفة الشديد بالرغم من بعض المطالبات بتأجيلها وتمديد الفترة الانتقالية. كما حاولت الحكومة ترتيب وترقية الخدمة المدنية والاهتمام بالشأن التعليمي في السودان وتوطيد العلائق بين السودان والدول المجاورة والدليل على ذلك زيارة رئيس الوزراء سِر الختم الخليفة للقاهرة في عام ١٩٦٥م بغرض الوصول إلى حلول للمشكلات الاقتصادية المعلقة بين البلدين (أحمد بابكر محمد الخير، مصدر سابق، ص٢٧٠). وفي ذات الوقت عمِلت الحكومة الانتقالية على محو ما علقَ بوجه السودان في ظِل الحكم العسكري من احجام عن دعم حركات التحرر في بلدان إفريقيا المجاورة للسودان على غرار: "أرتريا، الكنغو واليمن". بالإضافة إلى تعديل قانون الانتخابات ومشاركة المرأة في الحياة السياسية وظهر ذلك جلياً بظهور فاطمة أحمد إبراهيم في أول برلمان منتخب عقِب الإطاحة بنظام عبود. وفي مجال معيشة المواطن لم تكن الأحوال الاقتصادية سيئة آنذاك بحيث أنَ ميزان الصادر كان أعلى من الوارد وبذلك كانت الأوضاع المعيشية مستقرة نوعاً ما، وعلى الرغم من ذلك قامت الحكومة الانتقالية بدعم بعض السلع الاستهلاكية الضرورية والمحروقات لتصل للمواطن بسعرٍ مناسب (الأيام، ٥٥١٢، ١٩٦٨). حاولت الحكومة تشغيل أكبر عدد من العاطلين بأن وضعت خطة لتشغيل عدد ثلاثة ألف عاطل عن العمل. عادت الحريات وانتظمت الصحافة تعبر عن آرائها وكذلك فعلت الأحزاب السياسية والتجمعات النقابية. أُلغِي قانون الطوارئ وقانون دفاع السودان لسنة ١٩٥٨ م واللائحة المكملة له، كذلك أُلغِي قانون الجامعة لسنة ١٩٦٠م وأُعيد العمل بقانون الجامعة لسنة ١٩٥٦م، فضلاً عن إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين وإعادة المفصولين من الخدمة المدنية تدريجياً ونفس الأمر بالنسبة للضباط وإرجاع الطلاب والطالبات المفصولين من مدارسهم ومزاولة نشاطهم بجانب صدور قانون الثراء الحرام سنة ١٩٦٥ (الرأي العام، ٦١٥٧، ١٩٦٤).

أبدت الحكومة محاولات لحل قضية الجنوب من خلال عقد مؤتمر المائدة المستديرة في مارس من العام ١٩٦٥م إلا أنه لم يخرج بنتائج مرضية (حسن عوض الكريم علي وسلفادور أتير أشويل، مرجع سابق، ص١٣٠).

ثالثاً: تجربة الحكومة الانتقالية الثالثة في السودان "١٩٨٥م-١٩٨٦م"

ثورة "أبريل ١٩٨٥م":

ثارَ الشعب السوداني ضد الأنظمة الشمولية في " ٢١ أكتوبر ١٩٦٤م " التي يسميها البعض بالثورة المجيدة ويصفها البعض الآخر بالثورة الظافرة (محمد محمد أحمد كرار، مرجع سابق، ص٧٧). كما ثارَ أيضاً في "٦ ابريل ١٩٨٥م" وذلك عندما رفعت الجماهير تلقائياً العلم ذو الثلاثة ألوان الأخضر الذي يرمز للخضرة والزرع والأصفر رمز الذهب والأزرق الذي يرمز للسماء، وهُتف باسم السودان الحر المستقل وحملت فروع النيم ولوحت بعلامة النصر وأبهى الصور ارتسمت عندما انحازت القوات المسلحة إلى الشعب الذي اتحدت كل أطيافه: المعارضة، النقابات المهنية والعمالية والطلابية واضعين حداً لحكم دام ستة عشر عاماً. لم تكن الثورة الشعبية صدفة أو خبط عشواء (محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص٢١٠). انبثقت الانتفاضة كنتاج طبيعي للإصرار والتصميم على التخلص من الحكم المايوي الذي فشل في توفير الضروريات من الوقود والمواد الاستهلاكية كالسكر وآنذاك برزت مقولة "السكر المر" (حسن عوض الكريم علي وسلفادور أتير أشويل، مرجع سابق، ص٢٠٣). وتعود جذور الثورة إلى ما قبل عام ١٩٨٤م عندما أخذت مجموعة من أساتذة الجامعة والمهنيين وقادة الخدمة المدنية والطلاب تنظيم لقاءات تستعرض الواقع المعاش وضرورة القيام بعمل يأتي بالخلاص من النظام الذي صادر الحريات وحبس الأصوات (محمد سعيد محمد الحسن، ١٩٨٦، ص١١).

في يوليو ١٩٨٤م وضعت هذه المجموعة صيغة ميثاق ينصب تركيزه على هدف مناهضة النظام واسترداد الديمقراطية وممارستها وكفالة الحريات العامة وحل مشكلة الجنوب في إطار ديمقراطي وفي أذهان المجتمعين اتفاقية أديس أبابا ١٩٧٢م التي أعطت الجنوب الحكم الذاتي الإقليمي في إطار السودان الموحد، كما نصَ الميثاق على مراجعة التشريعات الدستورية والاقتصادية وإلغاء القوانين المقيدة للحريات وإتباع سياسة حسن الجوار وعدم الانحياز وفي ذاكرتهم البعيدة مؤتمر باندونق ١٩٥٥م. مع حلول شهر مارس ١٩٨٥م اشتدت المقاومة الوطنية ضراوة فواجهها النظام بالإرهاب والسجن وتناثرت المنشورات في الشوارع والأزقة وجدران المدارس والمحلات التجارية وخرجت المواكب والمسيرات ونُظمت الاجتماعات ونُفِذَ

الإضراب تلو الإضراب وتوقفت الخدمات الضرورية ورفعت شعارات المقاومة حتى جاء شهر "أبريل ١٩٨٥م - رجب ١٤٠٥هـ" وكان غالبية المواطنين في أهبة الاستعداد و في يقين تام أنَه لا رجعه فيه و انَه ماضٍ في طريق إزاحة النظام الذي أزله وأرهقه وحدثت الانتفاضة الشعبية ضد الثورة الفكرية السياسية والاقتصادية كما يصفها فلاسفة مايو (محي الدين صابر، ١٩٧٢، ص١٠).

كان لخُطبة الجمعة "٥ أبريل ١٩٨٥م" التي ألقاها إمام الأنصار الصادق المهدي بمسجد الهجرة بود نوباوي الدور الكبير الذي حرك مشاعر الجماهير الغاضبة. حيث شنَ هجوماً مباشراً على النظام الذي دام ستة عشر عاماً ظلَم فيها الناس وكذبَ عليهم وأفسد الحياة وأذاق الشعب صنوفاً من البطش والتعذيب وجرَ على البلاد عار التبعية الأجنبية بان ارتمي في أحضان الاتحاد السوفيتي، وعقب قضاءه على حركة "١٩ يوليو ١٩٧١م" مالَ بكل ثقله إلى الولايات المتحدة الأمريكية وذلك عندما قام بدعوتها لإنشاء قواعد عسكرية بالبلاد (الشريف الهندي، مرجع سابق، ص٢٧٦، أنظر أيضاً، الصادق المهدي، ١٩٩٩، ص٢٠). في مساء الجمعة الخامس من أبريل نفسه وبمنطقة الامتداد بالخرطوم اجتمع عددٌ من الوطنيين لمناقشة تأزم الوضع في السودان وضمَ الاجتماع قادة الأحزاب السودانية، الاتحادي الديمقراطي، حزب الأمة، الحزب الشيوعي السوداني ونقابيون يمثلون: "الأطباء المهندسون، المصارف" ومن أساتذة جامعة الخرطوم حضر د. عبدالله على عباس (الحسن، مرجع سابق، ص٣١). تمخضَ الاجتماع عن اتفاق تام على إسقاط النظام وبرز السؤال ثم ماذا بعد ذلك؟ . وتضاربت الرؤى حول المحاصصة في مجلس السيادة ومجلس الوزراء بين التجمع النقابي والأحزاب في الفترة الانتقالية بموجب دستور السودان المؤقت لعام ١٩٥٦م المعدل لسنة ١٩٦٤م، وتكفل المؤتمرون بحرية المواطنين وتصفية آثار مايو وحل قضية الجنوب وترشيد الاقتصاد الوطني وتأكيد مبدأ الحكم اللامركزي وتقويمه على أسس سليمة وانتهاج سياسة عدم الانحياز لانَ السياسة الخارجية تقوم على مبدأ الموازنة بطريقة تصبح فيها الألوان متداخلة بهدف تجنب الصدام. مثلَ الاتفاق إحدى العلامات الفارقة إذ سرعان ما تحول إلى وثيقة اهتدي بها المدنيون والعسكريون وعلى أساسه تكونت الحكومة الانتقالية برئاسة نقيب الأطباء الجزولي دفع الله. في صبيحة السبت "٦ أبريل ١٩٨٥م" وصلت معلومات أمنية إلى هيئة القيادة العامة تفيد بانَ الإضراب السياسي قد أحكمت حلقاته ليشمل كل المرافق، كما أنَ الاتصالات الخارجية مع عواصم العالم انقطعت. أفادت الإذاعات العربية بان هناك حدث وشيك الوقوع في السودان في حين أنَ الرئيس جعفر نميري كان خارج البلاد في زيارة للولايات المتحدة الأمريكية وفي طريقه

إلى القاهرة ومنها إلى السودان. ذُعِر النظام ووضع خطة متكاملة لمنع الجماهير الثائرة من الوصول إلى قلب الخرطوم، وذلك بإغلاق الكباري وتبع ذلك حملات اعتقال طالت قادة أحزاب ونقابيين ، وفي ذات الوقت خرجت الجماهير إلى الميادين والشوارع والطرق الرئيسية في المدن الثلاث متحدية السلطة وهتفوا بشعارات الحرية والنصر. ضربت القوات المسلحة مثلاً في الوفاء عندما انحازت إلى جانب الشعب وقامت باستدعاء النائب الأول لرئيس الجمهورية عمر محمد الطيب وأخطرته بان القوات المسلحة قررت بالإجماع الانحياز الى جانب الشعب وإرادته. انتوى الرئيس جعفر نميري عقب وصوله القاهرة قادماً إليها من واشنطن بأن يتوجه فوراً إلى الخرطوم، إلا أنَ الرئيس المصري محمد حسني مبارك نصحه بعدم التوجه إلى السودان لانَ النظام القائم انهار وتسلمت القوات المسلحة مقاليد الأمور في السودان (الحسن، مرجع سابق: ص٣١). تُعد ثورة أبريل ١٩٨٥م ثورة شعبية قامت بها جموع لشعب السوداني كنتيجة مباشرة لاستبداد الرئيس جعفر نميري وفساد حكمه (هاشم بابكر محمد أحمد، ٢٠١٠، ص ١٣٧).

عوامل سقوط حكومة مايو ١٩٦٩م:

هناك عدة عوامل ساعدت على سقوط حكومة مايو ١٩٦٩م، أهمها:

١- تردي الأوضاع الاقتصادية بسبب التوسع في المشروعات غير المدروسة الأمر الذي أدى إلى ازدياد معدل التضخم وارتفاع الأسعار خاصة سلع السكر والدقيق والوقود.
٢- الانقلابات العسكرية "١٩٧١م – ١٩٧٦م" والتي أرهقت نظام مايو.
٣- الصراعات القبلية في دارفور في الفترة ما بين العامين "١٩٦٩م- ١٩٨٣م ".
٤- انتشار الجفاف والتصحر في الفترة ما بين العامين " ١٩٨٤- ١٩٨٥م ".
٥- قوانين سبتمبر ١٩٨٣م الإسلامية.
٦- انهيار اتفاقية أديس أبابا ١٩٧٢م الخاصة بجنوب السودان.
٧- تهجير اليهود الفلاشا في العام ١٩٨٠م (عبد السلام أحمد علي، ٢٠٠٣، ص ٣٤٥).

حكومة الفترة الانتقالية الثالثة "١٩٨٥م – ١٩٨٦م":

في صباح السبت "٦ ابريل ١٩٨٥م" أذاع الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب وزير الدفاع والقائد العام لقوات الشعب المسلحة بياناً أعلن فيه استيلاء القوات المسلحة على السلطة وإنهاء حكم نظام مايو (عبد العزيز محمد موسى اسحق، ٢٠١٣، ص٢٣٠). كما أصدر القرارات الآتية:

١- تعطيل الدستور وإعلان حالة الطوارئ في جميع أنحاء الجمهورية.
٢- إعفاء رئيس الجمهورية ونوابه ومساعديه ومستشاريه ووزرائه المركزيين ووزراء الدولة.
٣- حل الإتحاد الاشتراكي وجميع تنظيماته وروافده.
٤- حل مجلس الشعب القومي ومجالسه الإقليمية.
٥- إعفاء حكام الأقاليم ومعتمد العاصمة القومية والوزراء الإقليميين.
٦- يتولى قادة المناطق العسكرية في جميع أقاليم السودان سلطات حكام الأقاليم.
٧- يتولى وكلاء الوزارات المركزيين ورصفائهم في الأقاليم دفة العمل التنفيذي حتى إشعارٍ آخر (مركز الدراسات السودانية، جامعة بيرقن، ١٩٩٣).

في اليوم الثامن من أبريل وبنادي هيئة التدريس بجامعة الخرطوم دخل الفريق سُوار الذهب في سلسلة من المفاوضات مع قادة تحالف التنظيمات المهنية والنقابات العمالية الذي غير اسمه ليتماشى مع المناسبة إلى التجمع الوطني لإنقاذ البلاد والذي عرف اختصاراً باسم التجمع الذي كان مجلساً تنسيقيا وضم أكثر من اثني عشرة تنظيماً "أحزاب، اتحادات، نقابات ومنظمات المجتمع المدني" لكلٍ منها اجندتها الخاصة ولكنها جميعاً اتفقت في معاداة نظام مايو، و بعد ساعات من الجدل و المناقشة تمكن قادة التجمع من صياغة ميثاقه أخيراً الذي لخص أهدافهم المشتركة. حيث نصَ الميثاق على فترة انتقال لا تزيد عن ثلاث سنوات يتم خلالها تنقيح دستور ١٩٥٦م المعدل في ١٩٦٤م وطرح مشروع الدستور الجديد في استفتاء شعبي. كما دعا إلى ضمان الحريات الأساسية واستعادة الحكم الذاتي الإقليمي في الجنوب. (روبرت أو كولينز، مرجع سابق، ص١٩١).

في التاسع من أبريل أعلن سوار الذهب تشكيل مجلس عسكري انتقالي من خمسة عشر عضواً من كبار الضباط الذين كانوا على رأس وحدات النخبة المحيطة بالعاصمة (محجوب عمر باشري، ١٩٩٦، ص٨١٢). وهم:

١- الفريق أول عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب: رئيساً.
٢- الفريق أول تاج الدين عبد الله فضل: نائباً للرئيس.
٣- الفريق طيار محمد ميرغني محمد طاهر: عضواً.
٤- الفريق بحري يوسف حسين أحمد: عضواَ.
٥- الفريق مهندس محمد توفيق خليل: عضواً.
٦- الفريق متقاعد يوسف حسن الحاج: عضواً.
٧- اللواء (أ.ح.) فابيان أفانج لونق: عضواً .

٨- اللواء (أ.ح.) جيمس لورو : عضواً .
٩- اللواء (أ.ح.) عثمان الأمين السيد : عضواً .
١٠- اللواء (أ.ح.) إبراهيم يوسف العوض : عضواً .
١١- اللواء (أ.ح.) حمادة عبد العظيم حمادة : عضواً .
١٢- العميد (أ.ح.) عثمان عبد الله محمد : عضواً .
١٤- العميد (أ.ح.) فضل الله برمة ناصر : عضواً .
١٥- العميد مهندس (أ.ح.) عبد العزيز محمد الأمين : عضواً .
١٦- العميد (أ.ح.) فارس عبد الله حسني : عضواً .

بينما أدار أمور البلاد التنفيذية مجلس وزاري مدني انتقالي تشكل في الثاني والعشرون من أبريل وضم خمسة عشر وزيراً (عبد العزيز محمد موسى اسحق، مصدر سابق: ص٢٣٢)، وهم:

١- الجزولي دفع الله: رئيساً للوزراء.
٢- صموئيل أرو: نائباً للرئيس.
٣- العميد عثمان عبد الله: وزيراً للدفاع.
٤- عوض عبد المجيد: وزيراً للمالية والتخطيط الاقتصادي.
٥- إبراهيم طه أيوب: وزيراً للخارجية.
٦- سيد احمد السيد: وزيراً للتجارة والتعاون والتموين.
٧- عبد العزيز عثمان موسى: وزيراً للطاقة والصناعة والتعدين.
٨- بيتر قات كوث: وزيراً للنقل والمواصلات.
٩- صديق عابدين: وزيراً للزراعة والموارد الطبيعية.
١٠- حسين أبو صالح: وزيراً للصحة والرعاية الاجتماعية.
١١- أوليفر ناتالي البينو: وزيراً للخدمة العامة والعمل.
١٢- الفريق أول شرطة عباس مدني: وزيراً للداخلية.
١٣- أمين مكي مدني: وزيراً للتشييد والإسكان.
١٤- محمد بشير حامد: وزيراً للثقافة والإعلام.
١٥- بشير حاج التوم: وزيراً للتربية والتعليم.

في "٦ مايو ١٩٨٥م" تمَ اختيار السيد أحمد الميرغني رئيساً لمجلس السيادة كما تم تعيين كلٍ من إدريس البنا، محمد الحسن عبد الله يس، الدكتور علي حسن تاج الدين وباسيفيكو لادو لوليك كأعضاء لمجلس السيادة واختير محمد إبراهيم خليل رئيساً للجمعية التأسيسية. أدرك

الجيش انه لا يستطيع السيطرة على الموقف دون تعاون مع القوي السياسية المدنية، وفي الاتجاه الآخر أدرك المدنيون إنهم بحاجة إلى العسكر ولم يفت على مخيلة الجانبين دور كلاهما في أحداث الانتفاضة (عبد العزيز محمد موسى اسحق، مصدر سابق، ص ٢٣٤). وهكذا مارسَ المجلس العسكري الانتقالي اختصاصات حماية الأرض والدستور أما السلطة التنفيذية فقد وقعت على عاتق الحكومة المدنية (محمد سعيد محمد الحسن، مرجع سابق، ص٨٦). أُختط دستور انتقالي يهتدى به في هذه الفترة لكنه لم يكن سِوي وثيقة لسد الفراغ الذي نجم عن إزاحة النظام السابق. لم يك الدستور يُلبي تطلعات الأمة فيما يتعلق بالقضايا الجوهرية التي ابتُليت بها الأمة السودانية حيث أرجأت جُل القضايا الشائكة في انتظار انعقاد مؤتمر دستوري لم ير النور حتى في فترة حكومات الديمقراطية الثالثة (مركز دراسات التنمية، ١٩٨٩م، ص٢٠٣).

مهام الحكومة الانتقالية "١٩٨٥-١٩٨٦م":

أولت الحكومة الانتقالية اهتمامها بعدة قضايا وهي:

١- إلغاء قوانين سبتمبر ١٩٨٣م.
٢- إعادة العلاقات الخارجية إلى ما قبل مجيء نظام مايو ١٩٦٩م.
٣- حل المشكلات الاقتصادية العاجلة "المجاعة، العطش، الغلاء".
٤- تهيئة الأجواء لإقامة انتخابات حرة ونزيهة.
٥- إصدار قانون الانتخابات.
٦- العمل على حل قضية الجنوب.

انجازات حكومة الفترة الانتقالية " ١٩٨٥- ١٩٨٦م":

عملت حكومة الفترة الانتقالية على إنجاز الآتي:

١- عادَت الحريات الأساسية واستأنفت الأحزاب السياسية نشاطها وتدافعت الصحف اليومية للصدور.
٢- نجحت حكومة الفترة الانتقالية "١٩٨٥- ١٩٨٦م" في فترةٍ وجيزةٍ من استعادة العلاقات الدبلوماسية مع عدد من الدول من بينها ليبيا التي انقطعت علاقتها مع السودان منذ العام ١٩٧٦م.
٣- أصدرت الحكومة وبعد التشاور مع الأحزاب السياسية قانون الانتخابات.
٤- أما فيما يتعلق بسعي الحكومة لحل المشاكل العاجلة كالمجاعة، العطش والغلاء لحدٍ ما أحرزت تقدم ملحوظ في هذا الصدد بحيث انعدمت الصفوف للحصول على

السلع الغذائية والبترولية على السواء (مركز دراسات التنمية، مصدر سابق، ص٣٢٤).

٥- إجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في نهاية الفترة الانتقالية.

قضية الجنوب في الفترة ما بين العامين "١٩٨٥- ١٩٨٦م":

أولَت حكومة الفترة الانتقالية "١٩٨٥- ١٩٨٦م" قضية الجنوب اهتماماً خاصاً باعتبارها هماً وطنياً كبيراً فحاولت معالجتها، وفي هذه المرحلة تمت عدة مبادرات سلام وتضمنت كلها وقف إطلاق النار من جانب واحد أي من جانب الحكومة ، وفشلت لعدة أسباب أهمها إنَ الجيش الشعبي لتحرير السودان بقيادة جون قرنق كان ينظر إلى المجلس العسكري الذي خلفَ نظام نميري هو نفسه استمرار لنظام مايو إذ أنه ضم غالبية كبار الجيش الذين عملوا تحت أمرة جعفر نميري ، علاوةً على أزمة الثقة المتوارثة بين الشمال والجنوب (أبيل ألير، مرجع سابق، ص ١٣١).

انتخابات أبريل ١٩٨٦م:

أُجرِيت الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في "أبريل من العام ١٩٨٦م"، وكانت حصيلتها النهائية عودة الوجوه الحزبية التي سيطرت على الواقع السياسي منذ الأربعينات وهما الحزبان الكبيران "حزب الأمة والحزب الاتحادي الديمقراطي" تسندهما طائفتان شعبيتان كبيرتان هما الأنصار والختمية (أحمد خير المحامي، ٢٠٠٢، ص٦٥). جاء حزب الأمة في المقدمة تلاهُ الحزب الاتحادي الديمقراطي ثم حزب الجبهة القومية الإسلامية ثم بقية الأحزاب الأخرى. لم يحرز أي حزب منها أغلبية مطلقة وبالتالي كانت الحكومة الجديدة حكومة ائتلافية ومما زاد من قصور هذه الانتخابات كانت مشاركة أبناء الجنوب ناقصة إذ لم تجر الانتخابات في سبع وثلاثون دائرة من دوائر الجنوب البالغة ثماني وستون دائرة لتدهور الوضع الأمني (مركز الدراسات السودانية، مصدر سابق، ص٢٥٥). لم يحدث في أي مرحلة من مراحل السودان الديمقراطية أن فاز حزب واحد بالأغلبية المطلقة إلا في انتخابات ١٩٥٤م والتي فاز فيها الحزب الوطني الاتحادي بغالبية الأصوات حيث مكنته من تشكيل أول حكومة وطنية برئاسة إسماعيل الأزهري (محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص٤٥٥). في كل الانتخابات التي جرت بعد ذلك كانت المحصلة حكومة ائتلافية تشمل دائما أحزاباً أكثر وتغطي قطاعات أوسع من الشعب السوداني وغالبية من يرجحوا كفة الأصوات جماهير الريف التي تقبع في جاهلية يكون من اليسير جداً أن يحركها الزعيم وفق إرادته. أسفرت انتخابات أبريل ١٩٨٦م عن تشكيل حكومة ديمقراطية محاصصَة بين حزب الأمة والحزب الاتحادي الديمقراطي مع مشاركة بعض الأحزاب الجنوبية حيث صار

الصادق المهدي رئيساً للوزراء وأحمد الميرغني رأساً للدولة وعليه فإن الحكومة الجديدة ملزمة بِبر وعودها التي قطعتها أثناء الانتخابات وكان عليها إن تقوم بإنجاز أهداف الانتفاضة وهي حلم عموم الشعب السوداني (سرحان غلام حسين، ٢٠١١، ص٢٥٩).

عطفاً على ما سبق اتضح لنا ولحدٍ بعيد تشابه حكومتي الفترتين الانتقاليتين "١٩٦٤- ١٩٦٥ و١٩٨٥- ١٩٨٦" بحيث أنَ كلتاهما توجبت عليهما مهام شبيهة ببعضها، من واقع تصفية النفوذ العسكري السابق، العمل على إلغاء القوانين المقيدة للحريات، استعادة العلاقات والتمثيل الدبلوماسي مع دول الجوار، ارجاع المفصولين من الخدمة سواءً كانوا من المدنيين أو العسكريين، بالإضافة إلى محاولة تحسين ظروف المواطنين المعيشية. نجحت الحكومتان الانتقاليتان بعض الشيء في انجاز المهام التي رسمت لهما رغم قصر فترتهما. على الصعيد الدبلوماسي عمِلت الحكومتان على تحسين صورة السودان لدى دول الجوار، كما أرجعت المفصولين عن الخدمة بشقيها المدني والعسكري، علاوةً على محاولة تحسين الوضع المعيشي وتوفير السلع الاستهلاكية بأسعار مناسبة. أما فيما يتعلق بقضية الجنوب فالأزمة لم تراوح مكانها رغم أنَ الحكومتان الانتقاليتان وضعتاها من ضمن أجندتهما من خلال عقد مؤتمر المائدة المستديرة في العام ١٩٦٥م. فشِل المؤتمر في تحقيق مسعاه لأنَ القضية لم تجد القدر الكافي من الاهتمام بين الشماليين والجنوبيين على السواء. على الرغم من أنَ الحكومة الانتقالية "١٩٨٥- ١٩٨٦م" أعلنت عن مبادرات سلام وأقرت وقف إطلاق النار من طرفها ألا أنَ رئيس الحركة الشعبية لتحرير السودان جون قرنق كان يرى في المجلس العسكري الذي ترأسه الفريق سوار الذهب امتداداً لعهد جعفر نميري "١٩٦٩- ١٩٨٥م". نجحت الحكومتان في اجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في نهاية فترتي حكمهما " ١٩٦٥م و١٩٨٦م".

الخاتمة

ترتبَ على توقيع اتفاقية الحكم الذاتي بين بريطانيا ومصر في "١٩٥٣/٢/١٢م" وضع دستوري جديد، وهو الوضع الذي أقرَ ضرورة منح السودان حق تقرير المصير، على أن يسبق ذلك فترة حكم ذاتي لا تتجاوز ثلاث سنوات، يتم خلال تلك الفترة تصفية نفوذ الحكم الثنائي على أن يبقى الحاكم العام في منصبه رمزاً للسيادة تعاونه لجنة خماسية. نصت كذلك الاتفاقية على تكوين عدة لجان: الانتخابات، السودنة، الخدمة المدنية على أن يتِم جلاء القوات الأجنبية في نهاية الفترة الانتقالية. الجدير بالذكر أنَ بريطانيا نفسها عملت على احترام خيارات السودانيين دون وصايةً عليهم. تحققت على الأقل جُل المرامي والمقاصد من الاتفاقية. أسفرت الانتخابات التي جرت في العام ١٩٥٤م عن فوز مريح للحزب الوطني الاتحادي الذي حصل على أغلبية

مقاعد مجلس الشيوخ والبرلمان. كما أنَ لجنة سودنة الوظائف قامت بعملها على الرغم من أنَ نتائجها لم تكن مرضية للبعض. فيما يتعلق بالجلاء والاستقلال فها هي الحكومة الانتقالية تبر بوعدها بإعلانها الاستقلال من داخل البرلمان في "١٩/١٢/١٠٥٥م".

بنظرةٍ عامةٍ للحكومتين الانتقاليتين في السودان "١٩٦٤- ١٩٦٥ م و١٩٨٥- ١٩٨٦م" نجد أنَ كلتاهما أقرته الظروف والملابسات الجديدة والتي جاءت في أعقاب الاطاحة بالأنظمة العسكرية الشمولية التي كممت الأفواه وصادرت الحريات الأساسية واتبعت أسلوب القمع. عصفت ثورة ١٩٦٤م بنظام الفريق إبراهيم عبود، وكذلك فعلت ثورة أبريل ١٩٨٥م بنظام المشير جعفر نميري على الرغم من قصر عمر الفترتين الانتقاليتين آنفتي الذكر ورغم المهام العديدة التي أُوكلت لهما إلا أن كلتا الفترتان قامتا بإنجاز مهام عديدة وبطبيعة الحال لازمها الاخفاق في بعضها.

على كلٍ توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- لم تُبد بريطانيا تمسُكها الشديد بالسودان من واقع احتلالها له منذ العام ١٨٩٨م، فعندما علت الأصوات بضرورة مناقشة مستقبل السودان أعطت السودانيون الحرية فيما يتوافقون عليه دون إملاء أو وصاية.

٢- وصلت الحكومة الانتقالية الأولى "١٩٥٤- ١٩٥٦" إلى الحكم عن طريق الانتخابات التي أقرتها اتفاقية الحكم الذاتي الموقعة في "١٢/٢/١٩٥٣م".

٣- يبدو أنَ طبيعة العلاقة بين الحزبين الكبيرين "الوطني الاتحادي والأمة" سادها عدم الوفاق أكثر من التقارب وظهر ذلك في عدة أشكال طوال فترة الحكومة الانتقالية الأولى "١٩٥٤- ١٩٥٦م".

٤- على الرغم من أنَ سودنة الوظائف كانت مرضية للشماليين إلا أنَ البعض منهم رأوا أنها أضرت بالخدمة المدنية كثيراً من واقع التخلص من الكفاءات، هذا فضلاً عن رفض الجنوبيون لمخرجاتها بحيث أنهم من جملة ثمانمائة وظيفة تحصلوا على ست وظائف فقط.

٥- تمخض عن اندلاع ثورتي أكتوبر ١٩٦٤م وأبريل ١٩٨٥م قيام حكومتان انتقاليتان عمِلتا على تصفية آثار النظام العسكري السابق عن طريق عدة اجراءات من نا حية ومحاولة تحسين الأوضاع المعيشية وترقية الخدمة المدنية من ناحيةٍ أخرى.

٦- تكونت الحكومة الانتقالية "١٩٦٤- ١٩٦٥م" من حكومة انتقالية مدنية بمعاونة مجلس سيادة مدني مع بقاء الفريق إبراهيم عبود رئيساً للبلاد، مع العلم بأنها لم تك حكومة واحدة وإنما في الواقع هي ثلاث حكومات.

٧- أُديرت البلاد إبان فترة عهد الحكومة الانتقالية "١٩٨٥- ١٩٨٦م" بحكومة مدنية ومجلس سيادة مدني بمعية مجلس عسكري انتقالي.

٨- برت حكومتا الفترتان الانتقاليتان "١٩٦٤-١٩٦٥م و١٩٨٥–١٩٨٦م" بإجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية في أعقاب نهاية فترة حكمهما في العامين "١٩٦٥م و١٩٨٦م" على التوالي.

٩- فشلت كلٍ من الحكومتين الانتقاليتين في معالجة قضية جنوب السودان لقصر الفترة الزمنية التي قضتاها، فضلاً عن طبيعة العناصر الجنوبية من ناحية ونظرة الشماليين للقضية من ناحيةٍ أخرى، لذا لم تجد القضية التفاعل المطلوب.

قائمة المصادروالمراجع

المصادر:

أولاً: الوثائق غيرالمنشورة – دارالوثائق القومية:

- ١/١/٢ بيان الرئيس إبراهيم عبود (٢٥/١٠/١٩٦٤م).
- ١/١/٢ بيان حل المجلس الأعلى للقوات المسلحة ومجلس الوزراء (٢٦/١٠/١٩٦٤م).
- ١٩/٣/ ٢٤١، الجنوب، تقرير سكرتير عام مؤتمر المائدة المستديرة ١٩٦٥م.

ثانياً: الوثائق والتقاريرالمنشورة:

- الوثائق البريطانية عن السودان "١٩٤٠م–١٩٥٦م" المجلدين ١٠–١١، تحرير محمود صالح عثمان صالح، شركة رياض رمسيس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.
- تقرير لجنة التحقيق في الاضطرابات التي حدثت في جنوب السودان " أغسطس ١٩٥٥م " ، وزارة الداخلية ، جمهورية السودان ، الخرطوم ، د . ت.
- **تقاريرمصلحية – رئاسة مجلس** الوزراء :
- ١/١٧٦/٤٧١ ، قانون الانتخابات .
- ١/١١/٤٩ ، الميثاق الوطني لحكومة أكتوبر ١٩٦٤م .

رابعاً: الصحف - وكالة السودان للأنباء: ٣٥٤٤٩٦٤

- الحياة: العدد، ١٠٤٤ ،٢٧ /٢/ ٢٠٠٦م.
- الأيام: العدد: ٥٥١٢، ١٢/٥/ ١٩٦٨م.
- الرأي العام: العدد: ٦١٥٧، ١١/٢٤/ ١٩٦٤م.
- السياسة: العدد: ١١١، ١٠/٢١/١٩٨٦م.

ثالثاً: الندوات:

- مركز الدراسات السودانية: الديمقراطية في السودان "البعد التاريخي والوضع الراهن وآفاق المستقبل"، القاهرة " ٤-٦ يوليو ١٩٩٣م".
- مركز دراسات التنمية: إدارة الأزمة في السودان، مداولات ندوة برقن " ٢٣ - ٢٤ فبراير ١٩٨٩م".

المراجع:

أولاً: الرسائل الجامعية:

١- أيمن كمال السيد (٢٠٠٢) : الحكومة العسكرية الأولى في السودان " ١٩٥٨م – ١٩٦٤م " ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الخرطوم .

٢- أحمد بابكر محمد الخير (٢٠١١) : أسباب وتأثيرات أحداث أكتوبر ١٩٦٤م على الحياة السياسية حتى عام ١٩٦٩م ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الخرطوم .

٣- هاشم بابكر محمد أحمد علوب (٢٠١٠) : المصالحات الوطنية في السودان " ١٩٧٢- ١٩٧٧م" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الخرطوم .

٤- فتح الرحمن الطاهر عبد الرحمن (٢٠٠٥) : الأحزاب الجنوبية وموقفها من الوحدة أو الانفصال في الفترة من "١٩٥٤-١٩٧٢" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الخرطوم .

٥- عبد السلام أحمد علي (٢٠٠٣) : إشكالية الدولة وتجربة الحزب الواحد في افريقيا – الاتحاد الاشتراكي السوداني "دراسة حالة"، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الخرطوم.

٦- عبد العزيز محمد موسى (١٩٩٨)، جنوب السودان خلال الحكم العسكري الأول ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النيلين .

ثانياً: الكتب باللغة العربية:

١- أحمد محمد شاموق (١٩٦٩): الثورة الظافرة "ست سنوات عجاف - ثورة طلاب"، دار الارشاد، الخرطوم، الطبعة الأولى.

٢- أحمد حمروش، د.ت: مصر والسودان "كفاح مشترك"، دار الهلال، القاهرة. الطبعة الأولى.

٣- أبيل ألير (١٩٩٣): قضايا الحرب والسلام في جنوب السودان "دراسة مقارنة"، ترجمة: هنري رياض، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

٤- الصادق المهدي، (د.ت): جهاد في سبيل الديمقراطية، الخرطوم، المطبعة الحكومية، الطبعة الأولى.

٥- الصادق المهدي (١٩٩٩): الديمقراطية في السودان "عائدة وراجحة"، مطابع سجل العرب، الخرطوم، الطبعة الأولى.

٦- الشريف حسين الهندي (٢٠٠٦): لوطني وللتاريخ "١٩٢٤م- ١٩٨٢م"، المكتبة الوطنية، الخرطوم، الطبعة الأولى.

٧- روبرت أو كولينز (٢٠١٥): تاريخ السودان الحديث، ترجمة: مصطفى مجدي الجمال، مكتبة الأسرة، القاهرة، الطبعة الأولى.

٨- ذكي البحيري (١٩٩٦م) : الحركة الديمقراطية في السودان " ١٩٤٣م- ١٩٨٥م " ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

٩- بيتر ودوارد (٢٠٠٢): السودان "الدولة المضطربة ١٨٩٨م- ١٩٨٩م"، ترجمة: محمد علي جادين، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، الخرطوم، الطبعة الأولى.

١٠- عبد الله علي إبراهيم (٢٠١١): سنوات في دهاليز الحزب الشيوعي، تقديم الطاهر حسن التوم، سلسلة برنامج مراجعات (١) شركة الدينونة للصحافة والنشر والإعلام، الخرطوم، الطبعة الأولى.

١١- حسن عوض الكريم علي وسلفادور أتير أشويل (٢٠٢٤): التاريخ السياسي لجنوب السودان في عهد الحكومات السودانية " ١٩٥٤م- ٢٠١١م " ، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة ، الطبعة الأولى.

١٢- محمد سعيد القدال (٢٠٠٢): تاريخ السودان الحديث "١٨٢١م- ١٩٥٥م"، مركز عبد الكريم ميرغني، أم درمان، الطبعة الثانية.
١٣- محمد عمر بشير (١٩٨٧): تاريخ الحركة الوطنية في السودان "١٩٠٠م - ١٩٦٩م"، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية.
١٤- ناصر السيد (١٩٩٠): تاريخ السياسة والتعليم في السودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، الطبعة الأولى.
١٥- أحمد خير المحامي (٢٠٠٢): كفاح جيل "تاريخ حركة الخرجين وتطورها في السودان"، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، الطبعة الثانية.
١٦- روبرت أو كولينز (٢٠١٠): تاريخ السودان الحديث، ترجمة: مصطفى مجدي الجمال، دار العين للنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى.
١٧- غلام سرحان حسين (٢٠١١) : التطورات السياسة في السودان المعاصر " ١٩٥٣م – ٢٠٠٩م"، "دراسة تاريخية ووثائقية"، مركز دراسات الوحدة العربية ، بغداد ، الطبعة الأولى
١٨- محجوب عمر باشري (١٩٩٦) : معالم الحركة الوطنية في السودان ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، الطبعة الثانية .
١٩- محمد سعيد محمد الحسن (١٩٨٦) : وقائع أطول يوم في تاريخ السودان الحديث ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ، الطبعة الأولى .
٢٠- محمد محمد أحمد كرار (١٩٩٩) : حكومات السودان : قيامها وسقوطها " ، دار البلد ، الخرطوم ، الطبعة الأولى .
٢١- عبد العزيز موسى اسحق (٢٠١٣) : صفحات من تاريخ السودان " دراسة للتاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي قديماً وحديثاً " ، الدار العالمية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى .
٢٢- صابر ، محي الدين (١٩٧٢) : البعد الفكري لثورة مايو ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الأولى .
٢٣- عبد الماجد أبو حسبو (١٩٨٧) : مذكرات عبد الماجد أبو حسبو" جانب من تاريخ الحركة الوطنية السودانية " ، الجزء الأول ، دار حسن للنشر والتوزيع ، الخرطوم ، الطبعة الأولى .

٢٤- محمد إبراهيم الطاهر (د.ت) : تاريخ الانتخابات البرلمانية في السودان ، بنك المعلومات السوداني ، الخرطوم ، الطبعة الأولى .
٢٥- فدوى عبد الرحمن علي طه (٢٠٢٢): تاريخ السودان المعاصر، دراسة توثيقية، مدارات للنشر ، الخرطوم ، الطبعة الأولى .
٢٦- محمد أحمد محجوب (د.ت) : الديمقراطية في الميزان ، ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ، الطبعة الأولى .
٢٧- نصيف باسل نصيف جبر (٢٠١٧) : تاريخ السودان السياسي "١٩٢٤م – ١٩٥٦م" ، دار دجلة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى .

المآتم في السودان

د سلوي عبد المجيد احمد المشلي(•)

Abstract

The paper discusses two kinds of death rituals in the Sudan: The ritual connected with natural death which is practiced according to the Islamic rule though but some ethnities introduced other rituals. The second type is known as Ritualist Killing. There are different types known a famous one killing by sophication practiced according to the hindu methodology on the plea that killing of the king destroies evils in the tribe. Ritual killing was practied in Africa in the region stretching across the continent. In Merowe the religious men who held worship ceremony also carried the ritual killing. It is also known among tribes on the borders between the Sudan and Ehiopia. Rituals of this type differ between various localities as observed by some writers. J.Bruce who visited the Funj Sultanate relates that the king was subjected to ritual death as it was thought to be beneficial to the society. Rituals of the natural death were generally the same in muslim societies starting with declation of the event, the preparation of the body, use of new covers and carrying the deceased to the tomb.

المستخلص

تتناول الورقة الموت الطقسي قديما والموت الطبيعي أي الوفاة لغالبية المسلمين والعادات المتبعة والمعتقدات في الموت الطبيعي فيما يختص بالغسل والدفن كلها إسلامية صحيحة، لكن ما بعد الدفن تغلب عليها الثقافة السودانية المحلية المتنوعة بتنوع الاثنيات في مختلف الأرجاء. استخدمت الورقة المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي والرواية الشفاهية والملاحظة بالمشاركة. خلص البحث إلى أن العادات المتبعة في الموت مستمرة كما هي لم تتغير ولكن تغيرت بعض العادات الاجتماعية فيما يختص بالنواح والحداد على الميت بمرور الزمن للتعليم وزيادة الوعي الديني وغيره من الأسباب. الموت عاقبة كل شيء ونهاية كل شيء قال الله تعالى في محكم تنزيله:" كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

(•) دكتوراه في الفولكلور– معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم (٢٠١٦م)، ماجستير الفولكلور – معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم (٢٠١٢م)، دبلوم عالي في الإحصاء – جامعة القاهرة، فرع الخرطوم (١٩٨٨م). بكالوريوس الآداب – علم الاجتماع – جامعة القاهرة فرع الخرطوم

وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ". (سورة آل عمران: ١٨٥).

تعريف الموت:

الموت هو خروج الروح من الجسد وارتحالها لحياة البرزخ،

وقال تعالى: "كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ" .(سورة القيامة: ٢٦- ٣٠)

الموت تاريخياً:

عرفنا الموت الطبيعي ولكن تاريخيا نبدأ بـ:

الموت الاختياري الطقسي:

كتب الأنثربولوجيون في دراساتهم عن تطوير علاقة الإنسان والكون من حوله نظريات في السحر والدين، ومن اشهرهم جيمس فريزر مؤلف كتاب :" الغصن الذهبي" دراسة في السحر و الدين، و فيه أن هذه العلاقة:" مرت بثلاث مراحل كبرى السحر ثم الدين ثم العلم، و ان الدين يشترط الاعتقاد في الكائنات الروحية أو الإلهية أو الارباب، بينما يتألف السحر من الأعمال و الممارسات و الشعائر التي تتصل بالكائنات الأخرى، إذ هما يتعلقان بعالم الغيبيات و يستعينان بالقوى الخفية الخارقة و الكائنات الروحية التي تحقق الطمأنينة والهدوء وراحة البال".(١).

يوجد في العالم انواع من القتل الطقسي كما القتل ب(الخنق)، وفي ذلك كتبت روميساء لعياضي في ٢٩/ ١١/ ٢٠٢١م عن أغرب طقوس العالم (الخناقون):" أن الآلهة الوثنية كالي المسماة (السوداء) حسب الميثولوجيا الهندوسية، هي آلهة الموت والدمار التي تدمر الشرور ضد راكتانيجا وذلك بالموت خنقاً، كما ان للعرب الآلهة الأنثى عُزى والتي ت(ذبح) لها القرابين من النساء في مذبح يسمى (الغبغب)، وغيرها من انواع الطقوس التي يتم يمارس فيها القتل.

تعود فكرة الموت الاختياري الطقسي الى ضعف الانسان أمام قوى الطبيعة في المراحل البدائية من تطور المجتمع البشري، لوجود صلة بين الحالة الجسمانية لزعيم العشيرة وبين سلامة العشيرة والظواهر والمؤثرات الطبيعية بحسب السحر فإن مصير روح (الملك- الإله) لها أثر فعال في انهيار قواه او ظهور الكبر او المرض يؤدي إلى ضعف عام في الطبيعة.

يرى بعض العلماء أن: "آثار الملك الإله في السودان القديم والتي دامت عدة قرون على ظهور مؤسسة الملك الإله في المناطق الواقعة على طول الطريق عبر القارة الأفريقية من الشرق للمغرب بين الصحراء الكبرى و في الشمال والغابات الاستوائية في الجنوب مثال مملكة يوكون في اعالي نهر النيجر".(٢).

ان عملية القتل الطقسي ليست من صفات القارة الافريقية وحدها في مناطق اخرى من العالم القديم كما ذكرها جيمس فريزر في كتابه:" الغصن الذهبي".

واستمرت هذه العادة عند القبائل المنعزلة التي حافظت على معتقداتها. والموت الاختياري الطقسي هو موت الملك، أو كبير السن سواء كان رب الأسرة او شيخ العشيرة او غيرة بأقناعه قسريا من قبل المجتمع الذي يعيش فيه، وفق طقوس معتقدية معينة.

الموت الاختياري الطقسي في:

مملكة مروي:

كان الكهنة يقوم بأداء طقوس العبادة ويملكون سلطات على تنفيذ القتل الطقسي على الملك، وفي عهد بطليموس الثاني تمكن الملك أركماني(٢٠٠- ٢١٨ ق.م)، الهرم رقم (٧) البجراوية، والذي نال قسطا من تعليمه في مدرسة إغريقية و نهل من منابع الفلسفة، وهو من وقف القتل الطقسي وقتل الكهنة في معبدهم.(٣).

أيضا في كتاب:" الترجمة الكاملة للألواح الملكية الكوشية"، ورد فيه ترجمة لوح الملك اسبلتا اللوح الثاني لهذا الملك (لوح العقاب) للكهنة مؤرخ بالسنة الثانية لحكم الملك اسبلتا. هذا النقش يتحدث عن ذهاب الملك الى معبد آمون البركل لمعاقبة العائلة الكهنوتية(٤).

القتل الطقسي في مملكة الفونج:

ذكر يوسف فضل حسن في مقال بعنوان: "القتل الطقسي في الفونج"، أنه كتب عن الرحالة جيمس بروس وعن أحمد سيد القوم مدير شؤون القصر الملكية و رئيس الخدم أنه:" ارتبط أحمد سيد القوم بمهمة قتل الملك إذا كان وجوده على العرس يتنافى مع مصلحة الدولة" .(هـ)

القتل عند ملوك الفور:

ذكر غوستاف ناختقال في كتابه ما ترجمته: "صحارى والسودان"، أن: "السلطان أبو القاسم أحمد بكر قد قُتِل خنقا بأمر من أخيه الملك تيراب بعد توصية من مجلسه على إثر خلاف بينهما على يد رجل يدعى وير وحفدته يمثلون وظيفة كبير الجلادين حتى وقت

زيارة ناختقال لدارفور إلى أنه لم يعرف عنهم أنهم قتلوا أحدا إلا نادرا و لا يشير الى عاده القتل الطقسي"(٦).

الموت الاختياري الطقسي عند بعض قبائل النيل الأزرق:

كتب الطيب محمد الطيب في كتابه:" بيت البكا،" أن القبائل التي تعيش على الحدود السودانية الأثيوبية مثل البرتا

والقمز وغيرهم درج هؤلاء قديما على دفن الرجل عندما يتقدم به السن ويتعطل يدفعه أهله للانتحار بطريقة طقسية وبعد أن يقتنع بذلك يعلن رحيله للحياة الآخرة.

ويتم الاستعداد للاحتفال بموته بطحن الذرة وصنع المريسة، حفر القبر ولكل قبيلة أسرة متخصصة في حفر القبر،

وبحفرها تبدأ الاحتفالات رسمياً: "من غناء ورقص، ويزور المحتفى به كل يوم بموكب خاص على حصان او بغل قبره، ويبدي ملاحظاته. ويحفر القبر مثل البئر وكلما نزلوا يوسعونه، ويوضع بداخله دكة وثيرة مثل كرسي القماش ليجلس عليها الميت وعند اكتماله يحدد يوم الموت وتنحر الذبائح ويبدأ الغناء والشرب ثلاثة ايام بلياليها، ويزف الميت في عصر اليوم الثالث".

وهو: "بكامل زينته من سكسك و خرز و كحل وحوله الحسان والطبول والمزامير، وعندما يصل القبر يجري عدة اشواط ثم يترجل بين صوت الزغاريد وعبارات التشجيع ويصافح مودعيه، وحتى يتم قتله طقسياً يدخل الرجل القبر هو الكجور (المفوض للقيام بطقوس الاسبار)، حاملا المبخرة و قرعة مريسة ويتلو عليها بعض اساطير الأجداد، ويشرح له كيفية استخدام الاشياء التي تدفن معه، ثم يناوله قرعة المريسة وبها مخدر ويعزم عليها الكجور وكلما احتسى منه عزم عليه وبسرعة يدب الوهن في اطراف الرجل فيضع الكجور الحربة بين يديه ويصعد لظهر الارض ويعطي إشارة لجماعة الدفن، ويستمر الكجور يدعي وعندما يخفت صوته يقف الكجور فتنطلق الزغاريد ويعودون يواصلون الحفل ويتقبلون التهاني من المعارف والاصدقاء".(٧).

الموت الغير طقوسي:

أقصد به الموت العادي ولنعرف كيفية غسل ودفن الميت والاختلاف في معاملة الاثنين الذكر والأنثى ونبدأ:

تعب الموت:

أخرج الإمام أحمد بسند حسن رضي الله عنه، قال: لما قالت فاطمة ذلك، يعني لما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرب الموت، قالت فاطمة:" وا كرباه" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يا بُنية، إنه حضر بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحد لموافاة يوم القيامة".(٨).

عادة عند مرض شخص ويعتقدوا بدنو أجله خاصة إذا كان مريض مرض لا شفاء منه (مرض موت) يجلس بقربه أهله (يتكسروا) حتى تخرج أنفاسه.

الوفاة والإعلان عنها:

يعلن عن الوفاة بسماع صوت البكاء في الحي أو المنطقة، وقد كان قديماً يعلن عنه بضرب النقارة أو النحاس في وفاة عظيم قومه، أو يطوف شخص المناطق حول منطقة المتوفي وهو يمتطي حمار ليخبرهم بالوفاة وبالجمال في البادية، وتطور أصبح الخبر بالتلغراف وفي بداية خمسينيات القرن الماضي بالمذياع (الراديو) وبدأ ببث أخبار وفيات كبار الموظفين والوزراء ومن هم في مقامهم، وبعدها صار مألوفاً إذاعة الموتى لكل الفئات وأصبح ينتظر نهاية نشرة الأخبار لسماع أسماء المتوفين الذين تذكر مع اسمائهم وظائفهم وظائف أقربائهم خاصة من علية القوم ومن المغتربين خارج الوطن.

بعد إعلان الوفاة يتم تجهيز القبر (التُربة) وصينية الحنوط والكفن وادوات الغسل وأحياناً تكون محفورة جاهزة بتطوع بعض الأفراد ممن يرجون من الله الأجر والثواب.

غسل الجنازة:

قبل الغسل يجهز المُغسل للجنازة ويسمى الحانوتي في الدول الأخرى لأنه يضع الحنوط ويأخذ مقابل مادي لذلك العمل، ويغسل بالمجان كعادة السودانيين في غسل الميت.

شروط المغسل:

- ان يكون من أقرب الأقربين من أهل الميت، وبالعدم من يرتضونه من الاهل او الجيران.
- أن يكون أمينا ولا يتحدث بما يرى على الميت من علامات.
-أن يكون طاهرا ويفضل ان يكون على وضوء.
- ان يساعده واحد أو اثنان، وللأسف تمتلئ غرفة الجنازة بالأقارب لماذا لا أدري؟!

الأدوات المادية المستخدمة لغسل الجنازة:

الحنوط:

هو ما يحنط به الميت من مخاليط الروائح من المسك

والكافور كما ورد في السنة الشريفة.

حنطونا المحلي يتكون من مطحون القرنفل والمحلب والصندل ان وجد، ويضاف له ما تيسر من الروائح السائلة، والزيتية أفضل لخلوها من الكحول.

صينية الحنوط:

محتوياتها تتكون من الحنوط وقطن يقطع ويبرم، ومبخر به بخور حلو ويفضل بخور الصندل، وصابون غسيل او لايف بوي، فتيل ريحة رش.

أدوات الغسل وحمل الجنازة:

البرش الأبيض:

هو سجادة أو فرشة من السعف المضفور صنع خصيصاً لترقد عليها لجنازة باللون الأبيض والذي نستخدمه في الحداد عادة.

ملاية القطيفة:

عنقريب الجنازة:

عنقريب عادي كان العنقريب ينسج من الحبل مضفور من السعف، وفي الغالب يكون قصير الارجل ويسمى(هبابي) لأنه يدخل الهواء من تحت، حالياً منسوج من الدوبار الابيض ولا يخلو بيت من هذا العنقريب سابقا لأنه عنقريب (السترة للميت)، ويجهز عادة عنقريبان واحد لغسيل الجنازة والآخر الذي يحمل فيه الميت لمثواه الأخير.

الكفن:

يتكون الكفن عامة للرجل والمرأة من:

ثلاث قطع من قماش الدبلان الأبيض تسمى القطعة الواحدة (اللامة) وهم اللامة الكبرى والوسطى والصغرى، مع ملاحظة ان الكفن لا يخيط.

القطع المكونة للكفن:

- ثلاث قطع طويلة لعمل زرد أو فيونكة في اعلي وأسفل ووسط الميت.
- قطعتين أخرتين رفيعتين لربط اصبعين اليدين والرجلين.
- عمامة وهي قطعة قماش تغطي الرأس بعد الحنوط حتى لا يقع.

كانت المرأة يعمل لها لامتين زايدا عن لباس عبارة عن قميص وقطعة تحتانية (داخلية) وإيشارب أو قناع يغطي الراس كله.

كما تجهز ثلاثة طشاتة كبيرة الحجم، وعدد اثنين او ثلاثة جرادل بها ماء وورق شجر السدر (النبق)، وملاية القطيفة، واثنين خرقة قماش قطني ليلبسها المغسل أثناء الغسل حتى لا تمس يده جسد الميت، وملاية او قطعة قماش لتغطية نصف الميت السفلي وأخرى لتجفيفه بعد الغسل، توب أبيض للغطاء، وقصرية (مقعد قصير من حديد أو بلاستيك يجلس عليه الصغير وكبير للخروج).

تجهز للغسل صينية الغسل:

الحنوط عبارة عن روائح زيتية وقطن يقطع ويبرم، ومبخر به بخور حلو ويفضل بخور الصندل، مع ملاحظة ان الكفن لا يخيط وصابون غسيل او لايف بوي، فتيل ريحة رش وقفزات لليدين من قماش الكفن.

طريقة الغسل:

يوضع العنقريب الأول الذي يغسل فيه الميت في غرفة يغلق بابها الذي يكون عليه شخص قريب من أهل الميت ويكون الوسيط ما بين المغسل والآخرين إذا ما احتاجوا لشيء ينقص الغسل.

يوضع العنقريب باتجاه الشرق وهي القبلة، ويكون المغسل يده اليمنى باتجاه رأس الجنازة ويده اليسرى باتجاه رجليه. يفرش على العنقريب ملاية يوضع عليها الميت ويغطى نصفه الأسفل حتى يغسل من تحت الساتر.

يطلق البخور الحلو منذ بداية الغسل حتى لا تطلع روائح كما في الخطوة التالية وهي إخلاء بطن الميت من الفضلات ونسميها (نفضي بطنو)، وهي أن يقعد الميت من جهة الرأس على زاوية ١٢٠ درجة وتحته القصرية (مقعد)، ويضغط باليد برفق من الصدر مرورا بالبطن حتى يخرج ما تبقى ما في بطنه من فضلات بعد ذلك تخرج القصرية من

الغرفة، أما قبيلة المحس النوبية قديما كانوا يحفرون حفرة داخل الحفرة التي توفى بها ويعصرون بطنه لتنزل الأوساخ في تلك الحفرة وتدفن الحفرة.

فإذا وسخ الميت يغسل نصفه السفلي بالماء والصابون ذلك لأن الميت جسمه يسيب اي يرتاح ويأخذ راحته، فإذا لم ينظف البطن إذ ربما يخرج فضلات ويتسخ الكفن قبل أو بعد حمل نعشه.

طريقة الغسل:

يغسل الميت فوق العنقريب يفرش فيه شرشف(ملاية)، وعند المحس كان يفرش جريد النخل، يتم الغسل:

- حمام العامة: يغسل الميت بالماء والصابون ويشطف بماء السدر إذا توفر، فإذا كانت الماء غير نظيفة يحمى وتري ثلاث مرات.

- الغسل: يوضأ الميت كما يوضأ الحي وعندما نصل لمرحلة الرجلين نغسل الميامن قبل المياسر ثم نغسل الرجلين.

- تجفيف الميت: يجفف الميت بخرقة قماش قطنية ناعمة، وتربط الاصبعين لليدين الكبيرين معا والرجلين ايضا معا.

الدعاء للميت أثناء الغسل:

من يغسل الميت أو غيره يدع له فيقول مثلا:

" اللهم يا حنان، يا منان ويا واسع الغفران أغفر له أو لها وأرحمه وعافه وأعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخل وأغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس".

" اللهم أبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله، وأدخله الجنة وأعزه من عذاب القبر ومن عذاب النار، واللهم عامله بما انت أهل له ولا تعامله لنا هو أهل له، واللهم أجزه عن الإحسان إحسانا وعن الإساءة عفوا وغفرانا، واللهم إن محسنا فزد من حسناته وكان مسيئا فتجاوز عن سيئاته يا رب العالمين"، وكثير من الأدعية المأثورة والبعض يقرأ أثناء الغسل سورة ياسين.

وضع الحنوط:

يوضع الحنوط كما في السنة على مواضع السجود ولكن هنا في السودان نكثر من وضعه على الجسم:

لحنوط الوجه تحضر قطعتين كبيرتين مسطحتين بعد غمسها في الحنوط فوق العينين، قطعة مستطيلة توضع بداخل الفم تحت الشفة العلوية بعد غمسها بالحنوط، وبرم قطنتين توضع بداخل فتحتي الأنف والاذنين، ثم يلبس العمامة على الوجه.

أما اليدين والرجلين: تبرم القطن ويغمس بالحنوط ويوضع بين الأصابع أربعة قطنات في كل يد ورجل. وفي المؤخرة؛ تبرم قطعة من القطن وتوضع في بداية فتحة الشرج، وقطعة كبيرة من البطن تغطي عورة المرأة من الخلف، وقطعة اخرى للأمام، والرجل توضع قطعة القطن في كل رجل بين فخذيه وعضوه التناسلي، وتوضع قطعة قطن في السرة، وتوضع قطنتين تحت الإبط من كل يد.

تكفين الميت:

يفرش في العنقريب الثاني سجادة قطيفة ثم برش أبيض ثم اللامة الكبرى والوسطى والصغرى، ثم يحمل الميت للعنقريب الآخر وهو عنقريب حمله ويوضع على اللامة الصغرى وتلف حول الميت جيدا ثم بعدها الوسطى ثم الكبرى وتسمى العامة، ثم توضع الفيونكات(الزردات) وهي أن تجمع أطراف الكفن عند الرجلين ويربط بخيط طويل من القماش و يزرد ويعمل فيونكة شكل وردة.

وكذلك بعد الراس وفي المنتصف، زردة المنتصف تكون باتجاه اليد اليسرى للميت (لأنه عند اخراجها بعد دخوله القبر تكون اسهل لأنه يدفن على جانبه الأيمن) ثم يغطى بتوب ابيض وأحياناً بملاية قطيفة خضراء عليها عبارات إسلامية منها البسملة والتهليل (لا إله إلا الله).

وداع أهل الميت للجنازة:

قبل أن يغطي الميت ويقفل وجهه ينادى على أهله أن يودعوه ويعافونه أي طلب العفو منه وإعطائه العفو، بعدها يغطى بالثوب الأبيض ويرش على التوب بريحة رش، ويحمل

النعش ليوارى الثرى ومن ثم ينادى على الرجال بأن يحملوا الجثمان وقد كان اسمه قبل لحظات الجنازة.

خروج الجثمان(الدافنة):

التشييع:

حمل العنقريب على أكتاف الرجال:

يحمل العنقريب أربعة من الرجال يتبادلون في حمله ويتخاطفونه طلباً للأجر والثواب، لكن المهم أن يحمل الميت برفق، كما كان يقلب أثناء الغسل برفق، وتختلف طريقة حمل عنقريب الجنازة لمثواها الأخير:

حمل عنقريب الجنازة بالسيارة:

في الاغلب حاليا إذا كانت المقابر بعيدة عن منزل المتوفي يحمل العنقريب على عربة نقل صغيرة نسميها (بوكس).

اختلاف شكل العنقريب عند قبيلة السكوت:

عند قبيلة السكوت:" جنازة الذكور تغطى بملاءة فقط فوق الكفن، أما جنازة الإناث فيضعون فوقها كَرُند (عبارة عن ستارة من قماش نظيف فوق لأقواس من جريد النخل الأخضر المثبت على أطراف العنقريب) و يكون العنقريب و فوقه الكرند يشبه الهودج، وتكون جنازة الأنثى بداخل الكرند فلا يظهر منها شيء".(٩).

حمل العنقريب في البادية:

كتب حسن جميلة في كتابه: "ذكرياتي في بادية الكبابيش"، أنهم: "يحضرون جمل ضخم هادئ ويحضرون قَرفَة كيس جلدي كبير يشبه الخُرج إلا أنه أكبر منها حجماً

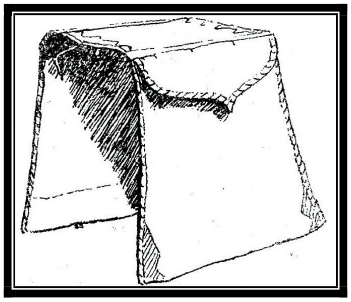

و هو عادة يخزن فيها الحبوب، و لكنهم لحمل الجنازة يملؤونها تراب ثم يحكموا ربطها على صفحة الجمل، ثم تحضر حَويتَّين مفردها حَويَّة:

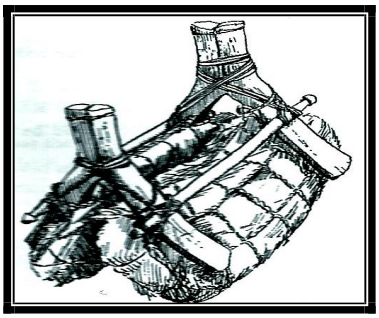

وهي سرج يوضع على ظهر الجمل، وربطهما على صفحة الجمل الأخرى وترك فراغها لأعلى ثم يحمل الجثمان ويوضع على الحويتين المربوطتين على صفحة الجمل الخرى وضعاً محكماًن ويذلك يكون جانب الجمل الأيس عدلة من تراب وعلى الجانب الأيمن الجثمان عدلتان كلاهما من تراب".(١٠)

عادات عند خروج العنقريب:

ارتبط خروج الميت بكثير من الطقوس والعادات التي تختلف من منطقة لأخرى أو قبيلة لأخرى، يتبع النساء الجنازة قليلاً خلفها يودعنها برفع الأيدي حالياً البعض بالتكبير والتهليل بعد التعليم والتعب الديني.

ولايزال في القرية البعيدة يكثر النواح والعويل وتعدد النائحات بذكر مزايا الميت، وقد كان فينا جاهلية ولا يزال بعضهن مستمرات في نواحهن بقولهن (خليتني لمنو، ووب علي) لكن خفت هذه العادات كثيراً في المناطق الحضرية.

المناحة عند قبيلة النارا البجاوية:

لوقت قريب كانت المناحة بآلة النُقارة التقليدية:

رقصة الكبور:

رقصة للمناحة عند قبيلة الحمداب بشمال السودان وقبائل شرق السودان وحتى جنوب كردفان لها طقوس قريبة منها، وفيه تتجه النساء بعد خروج الجنازة للمقابر يتجهن صوب أشجار النخيل وتحت النخيل يبدأ الكبور ويعتمد الرقص في الكبور على إيقاع آلة النقارة ولا تضرب عليه إلا امرأة متخصصة من الطبقة الدنيا في مجتمع الحمداب تسمى ب(الخادم)، وتقوم صاحبة البكا بقول (البلال) مع إيقاعات النقارة ويتكرر مقطع (حي حي حي) بسرعة فيعطي انطباعا وكأنه تنهيدات شخص يبكي.

واستبدلت النقارة بطشت يكفى وينقر على ظهره وتتحلق النساء في دائرة يتوسطها طشت آخر ملئ بالرماد أو التراب تأخذ منه النسوة ويزرن في رؤوسهن.(١١).

وقد كان النساء يتمسحن بالسكن (مادة سوداء تتكثف من حرق الحطب)، ويكلن الرماد على الوجه والشعر، وعند بعض القبائل يرقص بالسيف ويلبسن ملابس الميت ويَنِحْنَ، وبعضهن يضربن الدِنقر (مجموعة من أدوات المطبخ الطشت والفندق الخشب وأقداح الخشب وأناء القرع الكاذب المكفي على الماء والذي يضرب بمطرق لتخرج أصواتاً شجية في الموت وأصواتاً مطربة في الفرح) وغيره الكثير مما حفظ من إرثنا في المناحة وشعرها.

وكانت تضرب آلة النحاس في الممالك القديمة كالفونج وسنار و في وفاة شيخ قبيلة:

تجهيز القبر(التُرْبَة): يحفر القبر بأبعاد: ١٧٠ او ١٨٠ سم في متر في متر، عمل ود الاحد بعرض شبر بطول المسافة ١٧٠ سم بعمق ٥٠: سم لتوسيعها بحسب حجم الميت، نجد ان الطوب الذي يوضع تحت الرأس موجود جاهز (يقوم به من يرجى الثواب من الله تعالى)، من الطين النَي ويعجن الطين الذي يقفل به المسافات بين الطوب بعد إدخال الميت في المطمورة (القبر).

عادات الدفن:

دفن الميت:

يوضع الميت بالبرش والرأس اتجاه الشمال الجغرافي مقابل القبلة بجانب القبر وينزل ثلاثة من أقربائه لإتمام دفنه. ينزل الميت في المطمورة ويضع تحت رأسه طوبة من الطين الاخضر وهو راقدا باتجاه القبلة ويده اليمنى تحته واليسرى لأعلى، وتفك الزردات التي ربطت بها اللامة الكبرى(العامة).

يرص الطوب واقفا لمسافات معينة فوق الجثمان، وتُملأ المسافات بالطين اللين (الأخضر) حتى يكتم الرائحة فلا ينبش القبر كلب ولا حيوان.

مع ملاحظة ان التوب يجمع كلما رص الطوب حتى عند المنتصف يخرج الثوب، وأحيانا لا يجيد من يقبرون الميت ذلك ويصعب إخراج التوب فيتركوه، ويفسر الناس ذلك بأنه كان لايزال يحب الدنيا ويتشبث بها كما تشبث بالتوب.

بعدها يهال التراب عليه ويقنطر التراب لأعلى ويرش القبر بالماء، ويرش معه القبور المجاورة كعادة السودانيين في الكرم ان ينفحوا ماء على جيران الميت ثم تقرأ الفاتحة على روح الميت والدعاء له. ثم توضع علامتين على الرأس والقدم من غير اسم لمعرفة القبر.

قد تكون هنالك خطبة بعد الدفن او لا تكون، وبعد أن يغادر المشيعون يجلس أحد أقرباء الميت عند رأسه ويلقنه ففي هذا الوقت يجلسانه الملكين لسؤال القبر، فيلقن التالي:

يا فلا بن فلانة

الله ربك

والإسلام دينك

ومحمد (ص) نبيك

والقرآن كتابك

وإنك مت على لا إله إلا الله

فتقول الملائكة: اتركوه فإنه رجل يلقن. (ويثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة)، اسأل الله لي ولكم حسن العمل وحسن الخاتمة.

أنواع الميت:

دفن الميت ضخم الجسم:

إذا كان الميت ضخم الجثة فيوسع ود الاحد (ود اللحد) ويحضر ثلاثة عمامات توضع على بداية ومنتصف ونهاية القبر ويحمل العمامات ستة رجال كل عمامة يحملها رجلان ويوضع الميت على العمامات فوق القبر وينزل الميت وتسحب العمامات وبذلك يكون وزع وزنه على الستة رجال.

دفن الغريق:

الغريق من مات غرقا ثم طفا بعد ثلاث ايام فأكثر، ويكون منتفخا ومتسلخا وتغيرت ملامح وجهه ويكون السمك قد أكل منه وتغيرت رائحته وهذا هو الغريق الذي سندفنه، أما الغريق الذي انتشل في وقته يدفن كما يدفن عامة الناس لأنه يخرج كاملاً.

كيفية إخراج الغريق من الماء:

يخرج الغريق من النهر تتبع الخطوات الآتية:

يحضر عنقريب ويفرش فيه البرش وفوقه الكفن باللامات الثلاثة، ثم يدخل العنقريب في النهر تحت الغريق مباشرة ثم يكفن ويحمل إلى المقابر مباشرة.

أما الغريق الغريب يدفن جوار الشاطئ مباشرة. والغريق في شمال السودان فيستخدم لإخراجه القُسيبة وهي آنية فخارية يوضع بها الحبوب والتمر لحفظها بوضع نصف (القُسيبة) بعد قسمها لنصفين تحت الغريق ونشله بها من الماء:

طريقة دفن الغريق:

حفر مطمورة ابعادها ٢ في١.٥ في ١.٥ متراً.

ثم يدخل الغريق في داخل المطمورة ويغطى بالترتيب:

أولا: بفروع الشجر وأغصانه فوق جثمان الميت ثم يوضع فوق أفرع الشجر خشب ابلكاش ثم من فوق الخشب قطع زنك حتى تكتم الرائحة عن الحيوانات حتى لا تنبش القبر علما بأن المطمورة عميقة، ثم يهال عليه التراب.

دفن الصندوق:

يدفن الصندوق (الذي بداخلة ميت) والقادم من خارج السودان يدفن بنفس الطريقة بعد الصلاة عليه، اما صندوق الخاصة من السياسيين والشخصيات القومية يلف بعلم السودان تكريماً وتوضيحاً لأهمية الشخصية التي بداخل الصندوق:

دفن السقط:

السقط هو الجنين الذي لم يكتمل نموه داخل رحم أمه وأُجهض أي سقط، لف السقط غذا كان صغير في كيس نايلون ويدفن تحت شجرة بجانب البيت.

اما إذا كان كبير مخلقا اي تبدو عليه ملامح يغس بالماء ويلف بقطعة قماش ويدفن في المقابر.

دفن الطفل:

الطفل حتى ولو كان عمر يوم يغسل بالماء ويكفن بقطعة قماش ويدفن في المقابر.

دفن الأعضاء:

الأعضاء المقطوعة من جسم الإنسان سواء التي بُترت بحادث أو بإجراء عملية جراحية، تلف بكيس نايلون أو قماش وتدفن في المقابر.

صلاة الجنازة:

عند تصل الجنازة المقابر يصلى عليها بالآتي:

توضع الجنازة في اتجاه القبلة، الرأس باليمين والأرجل باليسار.

يقف الإمام خلف الجنازة بالنسبة للرجل عند الرأس، وبالنسبة للمرأة عند الوسط (عامة).

ثم يصطف المصلون خلف الإمام في صفوف عددها فردي.

كيفية الصلاة على الجنازة (عامة):

الصلاة على الجنازة سرا وتتكون من أربع تكبيرات:

التكبيرة الأولى: يقرأ الجميع سورة الفاتحة.

التكبيرة الثانية: يقرأ فيها الصلاة الإبراهيمية: "اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم...الخ"

التكبيرة الثالثة: يدعو الجميع للميت.

التكبيرة الرابعة: يدعو الجميع لعامة موتى المسلمين، ثم السلام.

ثم يدعو الإمام ويستغفر للميت جهرا ويأمن كافة المصلين بعده، ثم يحمل الميت إلى مثواه الأخير.

أنواع المقابر:

الدفن في مقابر العامة: مقابر معروفة مثل مقابر حمد وخوجلي في مدينة بحري، وحمد النيل في أم درمان وقديما تقوم المقابر حول قبة أو ضريح ولي.

الدفن في البادية: تمتد البادية كلها لتصلح أماكن للدفن خارج المناطق التي يسكنون بها، يدفن الميت وتغطى كل أجزاء القبر بالأحجار الضخمة حتى لا ينبش القبر حيوان ضاري.

الدفن في مقابر الخاصة:

تاريخياً كانت قبور الخاصة في عهد مملكتي نبتا ومروي هي

الأهرامات:

دفن بداخلها الملوك والملكات، وعرفت بالأهرامات في مناطق مروي والكرو ونوري.

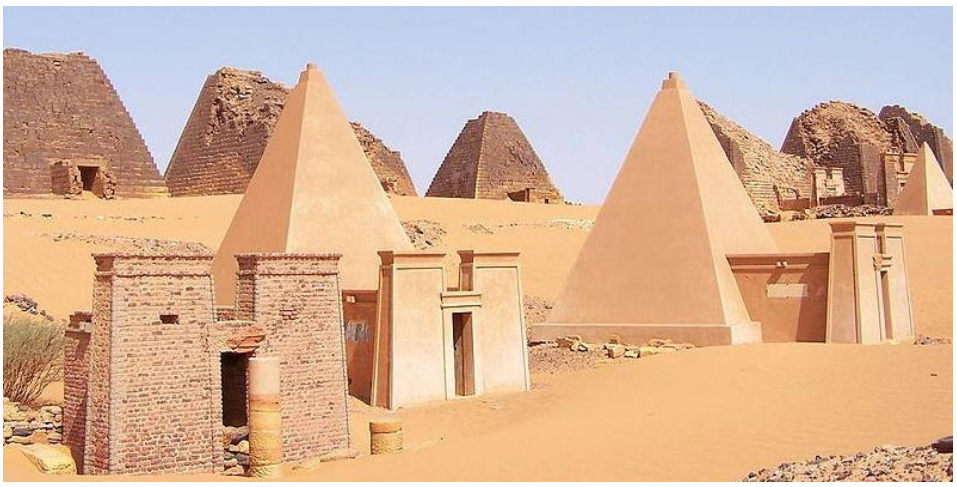

المقابر في العهد المسيحي:

أورد الأب جيوفاني فانتيني رسم في لوحة جدارية توضح القبة المقبرية ليؤانس أسقف فرص في عهد النوبة المسيحية، في يسار اللوحة الصليب الذي بيد الأسقف يؤانس في قبره.(١٢).

وهكذا نجد ان الشكل القبابي كان موجوداً في مدافن القديسين الذين يعادلون كلمة أولياء بدرجاتهم الدينية في العهد الإسلامي وهو العهد اللاحق له، وبذلك نرجع إلا أن الشكل القبابي انتقل من تصميم مدافن الخاصة من رجال الدين المسيحي إلى مدافن الخاصة من رجال الدين الإسلامي.

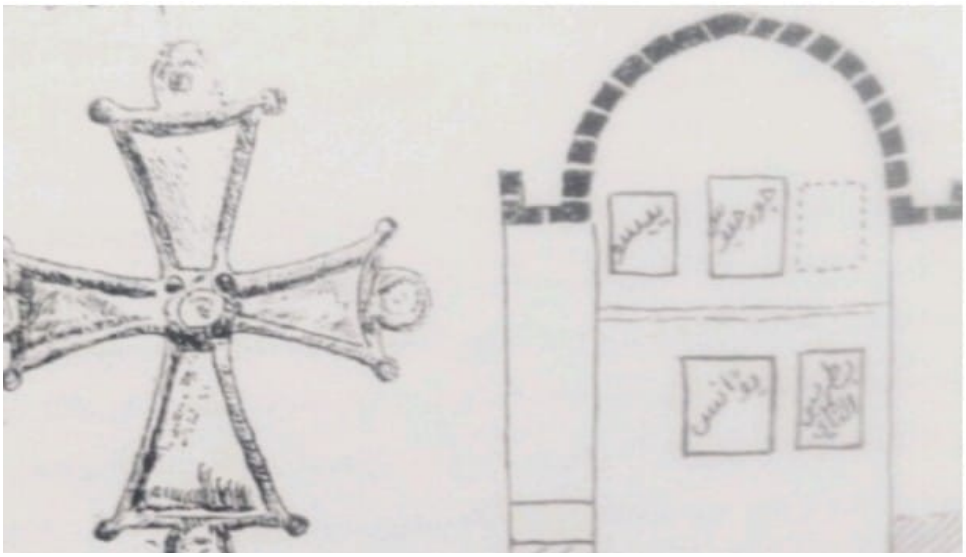

قباب الأولياء والصالحين ومدافنهم الأخرى:

القباب والأضرحة للأولياء من المخلفات المادية المعتقدية للإسلام الشعبي كما أسماها بروفيسور حامد حريز، والتي يمتد جذورها للمتصوفة في دولة الفونج الاسلامية.

والولي هو رجل عرف بالصلاح والبركة وله كرامات، يزار الولي بعمل مزار له يسمى قبة أو ضريح وهو قبر موجود في مكان فسيح أو بناء وسط مقابر العامة أو داخل مسجد مثل ضريح سيدي الحسن الميرغني الختمي المسمى براجل كسلا. وأيضاً دفن من أحفاده الشيخ خوجلي أبو الجاز المدفون في مسجد الميرغنية هو وأولاده الثمانية والسيد على الميرغني وزوجته فاطمة وأبنه أحمد بمنطقة حلة حمد بالخرطوم بحري شرق المقابر العامة مدفون بها الشيخ حمد ود أم مريوم الذي سميت (مقابر حلة حمد) باسمه.

وقد كتب ود ضيف الله في كتابه: "الطبقات"، عن حشد منهم من الزهاد وصانعي المعجزات.

أنواع مقابر الخاصة من الأولياء والصالحين:

القبة: بناء نصف كروي او له شكل مخروطي يتخذ على قبر الولي، وهي أكثر الاضرحة انتشارا في كثير من اجزاء السودان، تشيد القبة غالبا في المكان الذي دفن فيه، وقد تقام القبة وسط مقابر العامة.

البيان: من بين أي ظهر، وهي أن يرى شخص في المنام الولي في الحلم ودله على المكان الذي توجد فيه بركته، بعدها يبني هذا الشخص بيان للولي ببناء حائط مثلا ويضع عليه رايات إشارة لوجود ولي.

الضريح: هو مبنى من الطين ذا سقف مسطح، وبعضها بدون سقف أو تربة مستوية تبنى لها حائط عند الرأس والقدم، أو عبارة عن حجارة متراصة على شكل القبر أو كوم من الأحجار مغروس عليها عصاية وراية تبين البيان.

البنيّة: مبنى صغير قد يكون شكله مربع او دائري.

أسباب زيارة مقابرهم:

يزوره من هم يمرون بطقس عبور: العرسان، والطفل المختون والنفساء بعد الأربعين بغرض التبرك.

لزيارة الولي للبركة وشيل (قراءة) الفاتحة على روحه، وتقديم الزوارة وهي قد تكون مبلغ مالي أو طعام.

(كويكا بأرض المحس شمال السودان)

مقابر الأتراك: قباب من مخلفات عهد التركية الموجودة بشارع السيد عبد الرحمن غرب بنك المزارع عند تقاطع شارع القصر دفن بها عدد من باشواتهم.

عودة العنقريب:

بعد ان يتم الدفن يرجع عنقريب الجنازة فيعود الرجال من المقابر والعنقريب ملفوف فيه البرش والتوب، ويقدم لهم عصير في الغالب كركدي.

عنقريب قَدِ(جلد)

وعادة ينتظر النساء المعزيات في الشارع حتى رجوع العنقريب ثم يعدن إلى بيوتهن ويتابع أهل الميت في تقبل المعزاء.

أيام العزاء(الفُراش):

الفراش في بيت البكا هو تجهيز البيت لاستقبال المعزين وكانت تفرش البروش البيضاء (السباتة) على الأرض كفرشات يجلس عليها المعزين من الرجال في (السرادق) الصيوان المنصوب والنساء بداخل المنزل، عادة يبدأ الفراش بتنظيف وترتيب البيت قبل إعلان الوفاة.

قديما الفراش على الميت يستمر سبعة أشهر وبعدها يرفع الفراش، ولا ينقطع الزوار عن بيت البكا خاصة من النساء عن المرأة المحبوسة (امرأة الميت المعتدة). ففي فترة الحبس يحضر النساء لزيارة المحبوسة على في ساعات مختلفة من اليوم حاملات الفطور أو الشاي أو القهوة كمشاركة ومجاملة وكمؤانسة لها أثناء فترة الحبس.

رفع الفراش وكسر التُرْبَة:

رفع الفراش:

كان يرفع الفراش بعد الأربعين يوما، ومن ثم ينقطع الناس عن بيت البكا، ويرجع ذلك لظروف الحياة الضاغطة ولمشغوليات الحياة ولربما عجل النساء يوم كسر التُرْبَة لهذا السبب.

كسر التُرْبَة:

يتبع رفع الفراش عادة كسر التُرْبَة أو هَشْ التُرْبَة وهي عادة يقوم بها الرجال كما يقومون بدفن الميت. قديما كان أهل الميت المقربين من الرجال يدعون لكسر التُرْبَة، ويقدمون لهم إما وجبة فطور أو عصير بعدها يتحركوا للمقابر. يحضر الرجال بناء وطوب أحمر وأسمنت ورملة وشاهد.

تكسر التُرْبَة؛ أي تسوى التُرْبَة او القبر وتثبت بقنطرة التراب لأعلى ورش بالماء من أعلى حتى لا تجرفها الرياح وتضيع معالمها أي تصبح مسطحة وتبنى جوانبها بالطوب والرملة والأسمنت ليمنع دخول الماء للتربة وكشفها وجعلها عرضة لنبشها من قبل الكلاب:

كما يمكن أن يزيد طول جوانبه لأكثر من مدماك (صف من الطوب)، ويمكن تمليس البناء ليعيش زمنا طويلا، ثم يدق أو يوضع شاهدين عن رأس ورجلين المتوفي كبيان له. أكثر المتمسكين بهذا الطقس كما وجدت العبدلاب والشوايقة لاهتمامهم الشديد بقبور ذويهم، ولتمسكهم بالعادات.

تثبت الشاهدين على القبر: هو يافطة أو علامة توضع على القبر لتحفظ أسم وتاريخ الوفاة والأهم مكان القبر، حاليا شاهد واحد.

الشواهد:

الشواهد في العهد المروي: وجدت لوحة حجرية رسم عليها إثنين من الآلهة يقدمان قربان على قبر الميت وزخرفت أطرافها باللغة المروية.(١٣).

العهد المروي: وجدت لوحة حجرية رسم عليها إثنين من الآلهة يقدمان قربان على قبر الميت وزخرفت أطرافها باللغة المروية. (نفسه: ٣٢)

صورة لشاهد لقبر في العهد المباشر بعد المسيحي الذي امتد من(١٥٠٤-١٨٢١م).(١٤)

أنواع الشواهد:

شاهد كرسي: يسمى الشبك وهو من الحديد يصمم بشكل مستطيل جوانبه من الحديد شكلها مخطط بقطع حديد رفيعة بينها مسافات ومكشوف من أعلى، وهذا يشبه شواهد الأقباط كما لهم نوع ثاني عبارة عن بناء اسمنتي فوق القبر وشاهد على رأسه علامة الصليب.

شاهد حجري: وهو شاهد من الاسمنت المصبوب على شكل مستطيل ورأسه مثلث أو مستطيل ورأسه قبابي ينحت عليه باليد وهو لين لم يجف الأسمنت فيه ويكتب عليه ما ذكر سابقاً.

ولقد عرف المسلمون في كثير من بقاع العالم هذا النوع من الشواهد ووجد منه في شمال السودان بعد دخول العرب، ويكثر في مقابر المسيحين.

شاهد الحديد: شاهد من الحديد عبارة عن قطعة مستطيلة تلحم على حامل يثبت به في التُرْبَة ويطلى باللون الأسود.

شاهد كرسي: هذا النوع والكرسي معرضين للسرقة لصناعتهم من الحديد.

شاهد مبنى: بناء فوق القبر بالأسمنت كما في مقابر المسيحيين،

نموذج لمقبرة:

شاهد كتب عليه آية قرآنية مثل:

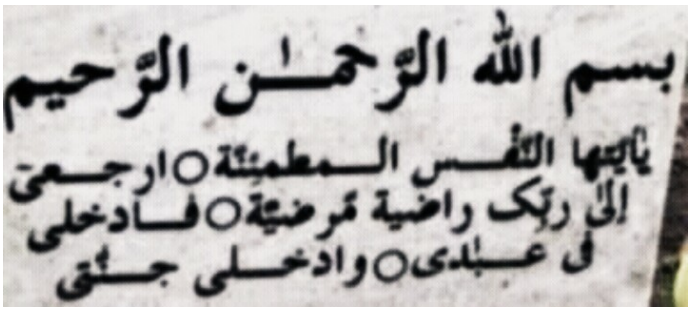

(يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) ويكتب تحتها اسم المتوفي بكتابة هذا قبر المرحوم فلان الفلاني، وتاريخ الوفاة هجريا وميلاديا، وقد يكتب المحدثين الاسم والتاريخ فقط.

أمثال عن الموت في أدبنا الشعبي:

الموت كان خلاك الكبر ما بخليك

يموت الظمار وايدو بتلعب

الما بموت وين بفوت

وصية الميت تحت راسه

ما في زول بموت قبال يومه

الموت راحة

الموت سترة

يا الحافر حفرة السو وسع مراقدك فيها

الميت خايف يقوم من قبره يلقى زول سكن فيه

الخاتمة:

الموت من أصعب الحقائق التي يواجهها البني آدم من فراق للأحبة، والتراث السوداني عن المآتم ضخم لتنوع الإثنيات وبالتالي تنوع معتقداتها وعاداتها.

قديما قال الشاعر:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوما على آلة على حدباء محمول

واللهم نسألك حسن الخاتمة.

المصادروالمراجع:

١. J. G. Frazer: "The golden Bough", London, 1966,p. P. 1-46.

٢. Arkell, A. J., "The History of the Sudan to 1821", London, 1962, P.p.176-177,
٣. Griffith, F. L., Oxford, "Excavation in Nubia", AAA, Vol. 9, 1922. P.78,
٤. الحسن أحمد محمد الحسن النوش: "الترجمة الكاملة للألواح الملكية الكوشية"، الأجزاء (١-٤)، الجزء الثاني، ٢٠٢٤م، ص ٦٣.
٥. يوسف فضل حسن: "القتل الطقسي عند الفونج"، مجلة الدراسات السودانية، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مجلد (٣)، عدد (١)، (دون تاريخ)، ص ص٣٢- ٤٧.
٦. G. Nachtigal:" Sahara and Sudan, p...
٧. الطيب محمد الطيب، "بيت البكا"، كتاب الخرطوم (٨٦)، الأعمال الكاملة (٦)، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
٨. السلسلة الصحيحة، رقم (١٧٣٨).
٩. سيد محمد عبد الله، "من حياة وتراث النوبة بمنطقة السكوت"، سلسلة دراسات في التراث السوداني (٣٠)، شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم، ١٩٧٤م.
١٠. حسن نجيلة، "ذكرياتي في البادية"، الطبعة الخامسة، مطبعة أكاديمية العلوم الطبية للنشر، دون تاريخ.
١١. محمد مصطفى النور، "الفولكلور والحياة الشعبية في منطقة الحماداب"، إصدارة وحدة تنفيذ السدود، إصدارة (٤)، ٢٠٠٤م.
١٢. الأب جيوفاني فانتيني، "تاريخ الممالك المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث"، بدون ناشر، الخرطوم، ١٩٧٨م.

قضية لاقارد (Lagarde)
أوهام الصداقة الفرنسية المهدية[1]

د. السر الأمين حامد محمد(•)

Abstract

The racing and the fall of the Mahdi revolution in Soudan, dated between 1881 and 1885, had no impact in France except in some academic institutions which are frequently being visited by some Egyptians, those Egyptians knew that a man called Mohammed Ahmad, had appeared in Sudan during Egyptian colonization and declared he was the Mahdi. A lot of people who were expecting Almahdi or the glorious redeemer to appeare at the beginning of every mew millennium, followed him.

الثورة المهدية التي بدأت في عام ١٨٨١م وانتهت في عام ١٨٨٥م بسقوط الخرطوم لم يكن لها أي صدى في فرنسا إلاّ فى بعض المراكز الثقافية التي كان يرتادها الوطنيون المصريون، فهؤلاء علموا بأّنّ في السودان المصري، ظهر رجل أعلن نفسه بالمهدي. وكان اسمه محمد أحمد ومنذ بداية دعوته تبعه الكثير من اللذين ينتظرون ظهور المهدي أو المجدد الذي يظهر في بداية كل قرن جديد من التقويم الهجري. فكلّ الذين كانت لهم عداوة ظاهرة أو خفية مع الحكومة المصرية في الخرطوم، اصطفوا خلفه طواعية وعدد الانتصارات السريعة أكدت لاتباعه فعلاً بأنه المهدي المنتظر.

الوطنيون المصريون في المنفى (باريس) وعلى رأس هذه القائمة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده كانوا يؤيدون كل انتصار للمهدي على الجيش المصري ويعدونه انتصاراً ضد إنجلترا التي احتلت الأرض المصرية بمساعدة الخديوي ومستشاريه.

ففي مقابلة مع "Pall Mall gazette" بتاريخ ١٧ أبريل ١٨٨٤م وعلى سؤال عن المهدي وقد أجاب الشيخ محمد عبده قائلاً: "إن محمد أحمد خطر على مصر بسبب وجودهم فى السودان وعندما تغادر مصر السودان فإنه لن يهاجمها ولن يسبب لها الخسائر وهو يلقى الآن تأييداً من الكثير من الناس (المصريين)؛ لأنهم يرون فيه الشخص الذى سوف

---

[1] (L'affaire Lagarde ou les illusions d'une amitié franco mahdiste) للبروفسور فيفان امينة ياجى ترجمة من مقال

(•) استاذ قسم اللغة الفرنسية كلية الآداب جامعة النيلين

يخلصهم من المسيحية وأن هذه الجموع ستنضم إليه عندما يأتي إلي مصر.[١] وفي صحيفته "العروة الوثقى" والتي كانت تصدر باللغة الفرنسية وصدر منها ثمانية عشر عدداً فقط، كان جمال الدين الأفغاني ينشر فيها كل ما له علاقة وصدى بالمهدي وبهذه الطريقة علم عدد محدود من الفرنسيين بالأحداث التي كان السودان مسرحاً لها.

إن سقوط الخرطوم في ٢٢ يناير ١٨٨٥م وموت غوردون وكذلك موت المهدى في 22 يونيو ١٨٨٥م لم يسمع بهم أحد في فرنسا. كانت لفرنسا وقتئذ اهتمامات أخرى، إن اتفاقية برادو (Brado) في ٢٢ مايو ١٨٨١م اعترفت بالحماية الفرنسية لتونس، وفي ٨ يونيو ١٨٨٣م وقعت اتفاقية المرسى للحماية الفرنسية لتونس بصفة نهائية. ودخول فرنسا في أفريقيا الغربية والاستوائية أصبح أمراً واقعاً وواضحاً وبالرغم من الكفاح والمقاومة الذي وجدتها فرنسا من المعارضين لها إلا أنها توغلت شيئاً فشيئاً اتجاه النيجر وغينيا أو اتجاه تشاد. والوضع الداخلي لفرنسا كان في أزمة ايضاً. فقد استضمت الجمهورية الثالثة بمشكلات جمة سواء أكان على الصعيد السياسي أو الاجتماعي وهذا الوضع المتأزم في الداخل والخارج لم يثر رغبة فرنسا في السودان أو ما يدور فيه ولكن عندما ضعفت الدولة المهدية أصبحت لفرنسا على ما يبدو علاقات مع خليفة المهدي، الخليفة عبد الله.

وينحدر عبد الله بن محمد من قبيلة الجبارت وهي من بطون البقارة التعايشة وحتى قبل ان يعلن محمد أحمد بأنّه المهدي المنتظر، اعترف به عبد الله وتبعه وبسرعة أصبح الخليفة الذراع الأيمن للمهدي، وكانت له اليد العليا فى كل المسائل الإدارية والعسكرية. فى عام ١٨٨٢م عُيّن الخليفة القائد العام لكل الجيوش المهدية وقبل وفاة المهدي عينه خليفة له فأصبح الخليفة عبد الله قائد الدولة المهدية وعمل على تنظيمها. ومنذ أن وصل الخليفة إلى الحكم، عمل على محاربة كل العناصر التي كانت تحيط به وتحاربه: كانت أسرة المهدي من جانب والتي جعلته مغتصباً للحكم من ناحية ونظار القبائل الذين يريدون الاستقلال عنه أو فرض قواهم على قبائلهم ضد منافسيهم الذين عينتهم الحكومة المهدية من ناحية ثانية، وفي الوقت نفسه على الخليفة مجابهة التهديد الخارجي الذي يستفحل باستمرار على مر السنين.

---

١. Blunt Wilfrid scawen, Gordon at Khartoum, London, 1911, p. 624.

فى عام ٤ 189م استولى الإيطاليون على كسلا وبالرغم من كل قوة جيوش المهدية بقيادة عثمان دقنة وأحمد فضيل إلا أنهم لم يستطيعوا استرجاعها وتحريرها، وما زالت الجيوش الإنجليزية والمصرية تحتل وادي حلفا فى الشمال وسواكن فى الشرق، وبالرغم من كل مجهودات عبد الرحمن النجومي لطردهم من وادي حلفا ومجهودات عثمان دقنة للاستيلاء على سواكن إلا أن تلك الجهود باءت كلها بالفشل

تقدم البلجيكيون فى الجنوب واصطدموا بعربي دفع الله الذي احترمهم جداً حتى عام ١٨٩٧م وبعد الاستيلاء على الرجاف انسحب عربي إلى بور وواصل مقاومته إلى أن سمع بهزيمة كرري وانسحاب الخليفة إلى الغرب.

غادرت بعثة مارشان (Marchand) الغابون (Gabon) عام ١٨٩٦م، وبعد رحلة شاقة امتدت لعامين داخل الأراضي الجنوبية لأفريقيا وصلت البعثة إلى فشودة يوم ١٢ يوليو ١٨٩٨م.

وكان مع مارشان (Marchand) أُمرً بإبرام اتفاقيات صداقة مع الدولة المهدية. كتب أندريه ليبون (André Lebon) وزير المستعمرات فى يونيو عام ١٨٩٦م إلى حاكم أوبانغى العليا (Oubangui (Haut ڤيكتور ليوتارد (Victor Liotard) بخصوص بعثة مارشان (Marchand) : يجب ان تحافظ البعثة على الطابع السلمي للمهمة التي بدأت والتي تفرض علينا إبرام اتفاقية حقيقية أو على الأقل علاقات طيبة مع الدراويش، ولا يجب أن يعلم المهديون بوصول الفرنسيين حتى لا يلتبس عليهم عمل البعثة مع أعمال منافسيهم الأوروبيين ويجب إعلامهم بان فرنسا ليست لديها أي عداوة تجاههم [1].

أقام القائد مارشان (Marchand) معسكره فى فشودة واستقبله الشلك بصورة طيبة وفى ٢٥ أغسطس ظهرت سفينتان حربيتان للدولة المهدية وهما التوفيقية وصافية وكانتا بقيادة الأمير سعيد الصغير، ظهرت السفينتان قبالة فشودة وقدمتا لجمع القمح. وجد الأمير نفسه أمام علم أجنبي وأوروبيين، فهاجمهم ووقعت معركة عنيفة بينهم لقى خلالها الأمير سعيد الصغير هزيمة كبيرة فعاد مسرعاً إلى أمدرمان طالباً النجدة من الخليفة فبدلاً من الخليفة وجد الأمير سعيد الصغير كتشنر (Kitchener).

[1] D.D.F 1ère série, tome 12, n° 411, 23 juin 1896. Cité par Sanderson ,G. N, « Emir Sulayman ibn Inger Abdullah » S.N.R, xxxvv, 1954 , p. 24 .

وكانت الحكومة الفرنسية تزعم منذ عام ١٨٩٦م وهماً أن الخليفة استقبل الفرنسيين بأياد مفتوحة وصدر رحب عندما لاحظ الاختلاف بين الفرنسي والإنجليزي. وحتى يصبح هذا الوهم حقيقة، رأت فرنسا أن تستخدم نفوذ النجاشي منليك الذي أبرم اتفاقيات مع الخليفة عبد الله منذ عام ١٨٩٥م. وتكثفت تلك العلاقات بعد الانتصارات التي حققها منليك على الإيطاليين فى عدوة يوم ٢٩ فبراير ١٨٩٦م.

أرسلت بعثة إلى النجاشي برئاسة ليونوس لاقارد (Léonce Lagarde) يوم ٢٦ نوفمبر ١٨٩٦م وكان لهذه البعثة هدفان: الأول الطلب من منليك التدخل لدى الخليفة ويكون منليك ضامناً على حُسن نوايا فرنسا تجاه الخليفة، والثاني أن يساعد الخليفة بعثة مارشان (Marchand) للاستقرار فى حوض النيل.

لماذا اعتقدت فرنسا بأن الخليفة عندما يقتنع بحسن نوايا الفرنسيين تجاهه سيستقبلهم بقلب مفتوح؟

هذا الوهم كان مصدره أفكار أحد المغامرين وهو المجري كارل أنجر (Karl Inger). وقد اجتمع هذا الأخير في باريس مع شخصيات حكومية عدة فى صيف ١٨٩٦م وكان يقدم نفسه بأنه مبعوث الخليفة عبد الله وأنه أحد أمرائه ومنذ هذا التاريخ بدأ يطلق على نفسه اسم الأمير سليمان بن انجر عبد الله وبهذا الاسم عرف فى الأوساط الرسمية الفرنسية والإنجليزية وكانت براهينه بأن تستولى فرنسا على بحر الغزال حتى تحمي الخليفة من هجوم إنجليزي آتي من يوغندا. ومصر وإنجلترا ليس لديهما أي سبب في تمديد احتلالهما فى شمال السودان وتكون فرنسا هي الضامن لحسن تصرف الخليفة على الحدود السودانية المصرية.

وقبل الخليفة فكرة المساعدة الفرنسية بكل حماس وانتشرت هذه الفكرة ووصلت إلى رجال السياسة في الجمهورية الثالثة. كان هؤلاء يجهلون أو أرادوا تجاهل أيديولوجية المهدية وهذا الشيء لا يُعقل من الخليفة بأن يقبل مساعدة أمة مسيحية. وأن فصل أرض كبحر الغزال هو شيء مستحيل أو لا يمكن تصوره أصلاً. إن مساعدة الخليفة أو حتى حياده تجاه أي بعثة أوروبية أتت لاستكشاف بلاده هو مجرد حلم. وهذا الحلم أصبح واقعاً حقيقياً وحتى يتحقق الحلم، قرر مسؤولون فى وزارتي الشؤون الخارجية والمستعمرات الفرنسية أن يستخدموا من منليك وسيطهم لدى الخليفة.

وقابلت أول بعثة فرنسية منليك في نوفمبر ١٨٩٦م كما ذكرنا ذلك من قبل تلتها بعد ذلك بعثات أخرى وكانت حجة فرنسا الرسمية هي إبرام اتفاقيات تجارية بين فرنسا

والحبشة وطلب من النجاشي مساعدة بعثة مارشان (Marchand). وبصورة غير رسمية تحدث لاقارد (Lagarde) إلى النجاشي عن رغبة فرنسا في أن يكون لها علاقات جيدة مع الخليفة. وطلب لاقارد (Lagarde) من النجاشي بأن يكون هو الوسيط وأن يُفهم الخليفة بأن رغبته هو أن يقبل الخليفة العلاقة مع فرنسا.

في يناير 1898م سلم لاقارد (Lagarde) منليك علم فرنسي صغير وطلب منه ارسالها للخليفة وطمأنته بأنه إذا رفع هذا العلم مرفرفاً على حدود بلاده أو على رأس جيشه فليتأكد من دعم فرنسا له. أرسل منليك وفداً الى الخليفة عبد الله برئاسة محمد الطيب الذي أوكل أليه في السابق بعثات مختلفة الى الخليفة. اتى محمد الطيب الخليفة في جلسة خاصة كان ذلك غالباً في شهر فبراير وسلمه في تلك الجلسة العلم الفرنسي. استلم الخليفة العلم ووعده بالرد عليه علناً خلال يومين أو ثلاثة. وفي حضور الأنصار أرجع الخليفة العلم لمحمد الطيب قائلاً له: حتى إذا اجتمعت السماء والأرض ضدي فلن أقبل حماية أمة كافرة[١]. ونصحه ابنه شيخ الدين باستلام العلم الفرنسي ورفعها على الحدود الشمالية وكلمه مطولاً عن فرنسا وعن الامتيازات التي سيحصل عليها من فرنسا. صحيح إنها أمة مسيحية ولكنها قوية وهل هناك أمم ذات قوة وهي غير كافرة؟ وكان شيخ الدين يصر ويتكلم بمنطق. استمع له الخليفة ولكنه كان يصر بشدة على قراره وأنه لا يبحث أبداً عن أي مساعدات من الأوروبيين الكفرة. وهو يفضل بدلاً عن ذلك علاقات مع خديوي مصر الولد عباس وأقسم بأنّ اليوم الذي يدخل فيه القاهرة منتصراً سيشنقه في المقصلة إلى جانب بورين(Burin)[٢] . وفي فرنسا تم تكذيب مبادرة لاقارد (Lagarde) رسمياً. وقد احتج غابرييل هانوتو (Gabriel Hanotaux) وزير الشؤون الخارجية الفرنسي لدى وزير المستعمرات. وشدد وزير الشؤون الخارجية في رسالة إلى أندريه ليبون (André Lebon) وزير المستعمرات بأنه تم تغيير مبادرة لاغارد (Lagarde) عن أهدافها وستِؤدى إلى نتائج كارثية بالنسبة لوجهات النظر السياسة العامة لفرنسا وختم رسالته قائلاً: وسأهتم اهتماماً بالغاً بأن تصدر الأوامر بوجه

---

١ Mahdia 1/34, dossier 16 Abyssina,statement of Muhammed Osman Hajj Khalid, ja' Khalifa Abdullahi's emissair to Menelik, The Bani Shangul extrats were sent to the British Agency, Cairo, on22/10/98/.

٢ Lord Gromer, Neufeld, K; A prisoner of the Khalifa: twelfe years' captivity at Omdurman, London, 1899, p. 246; Yusif Mikha'il, Hayati, Mahdiya 8/9/4, pp. 99-100; Sanderson, G,N, England, Europe and Upper Nile, 1882-1899, Edinbugh, 1965, pp.299.

السرعة وبالاتفاق بين الوزارتين حتى لا يبحث السيد لاقارد (Lagarde) عن حماية لمبادرته ضد أي محاولة تحاول تغيير البنود والحدود التي حددت لبعثته بخصوص شؤون السودان[١]، الجدير بالذكر أنه أوكل إلى لاقارد(Lagarde) منذ عام ١٨٩٧م مهمة إقامة علاقات صداقة مع الخليفة بواسطة منليك والهدف من هذه المهمة هي حماية بعثة مارشان ضد أي مؤامرات من جانب الخليفة.

رد أندريه ليبون (André Lebon) وزير المستعمرات على غابريل هانوتو (Gabriel Hanotaux) وزير الخارجية يوم ١٨ فبراير ١٨٩٨م: أن تدخل السيد لاقارد (Lagarde) في هذا الأمر لا يبدو لى منه خوف من وزارته من صفة وهدف البعثة. ومن وجهة نظري الهدف وبكل بساطة هو منع، كما كنا نخشى ذلك، أن تتعرض بعثاتنا للاعتراض من جانب المهديين. وفي واقع الأمر فإن الرسالة التي أرسلت ومعها علم فرنسي صغير لا يمثل من جانبنا إلا عنصر صغير للتنبيه بالاعتراف ببعثاتنا وطمأنتها وأتمنى بأن لا يُفسر هذا الفعل بطريقة أخرى[٢].

على ما يبدو قلل وزير المستعمرات من الحادثة. وحدث هذا في فبراير ١٨٩٨م، وكانت فرنسا في ذروة العاصفة فيما يخص قضية دريفوس (Dreyfus). ففي يناير من ذلك العام نشر إيميل زولا (Emile Zola) خطابه المفتوح "أتهم" وانقسم الرأي العام مع أو ضد دريفوس (Dreyfus) وكل الأحداث الخارجية دخلت في عالم النسيان في فرنسا.

ففي أكتوبر ١٨٩٧م، وهذه حقيقة، علم الرأي العام الفرنسي عن طريقة إحدى الأنظمة الحكومية وهي صحيفة ليكلير (L'Eclair)الصادرة بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٨٩٧م بأن هناك مباحثات تجرى منذ سبتمبر ١٨٩٦م بين الحكومة الفرنسية ومبعوث من الخليفة. وذكرنا قبل هذا خدعة المغامر المجري كارل أنجر(Karl Inger) والتي اعتمدت على صدقه كل من صحيفة ليكلير (L'Eclair) والمجلة المعاصرة(Contemporaine la Revue) إن الأحداث التي جابهتها فرنسا فى الداخل سرعان ادت الى نسيان السودان.

هل كان لاقارد (Lagarde) يتبع أوامر باريس أو تصرف بنفسه بإرسال العلم إلى الخليفة. عندما لم ينجح لاقارد (Lagarde) في مهمته هل اعترف بذلك؟ وقد يكون هذا

---

١ Ibidem.

٢ D.D.F. XIV, n°66, M. Hanotaux, ministre des Affaires Etrangères à M. Lebon, ministre des colonies, lettre du 17 février 1898.

محتملاً ويمكن أن يرجع ذلك إلى الطموح الشخصي أو بعطش الشهرة، أراد لاقارد (Lagarde) بذلك أن تفهم الأجيال القادمة بأنه مهندس العلاقات الفرنسية السودانية. ولكنه نسي بأن الخليفة عبد الله والذي يسميه لاقارد (Lagarde) بالمهدي لن يقبل أو حتى يفكر في قبول أدنى تعاون مع أمة كافرة. وحتى إذا قبلنا مع كل ما يخالف المنطق بأن الخليفة اقتنع برأي ابنه شيخ الدين ورفع العلم الفرنسي مرفرفاً على حدود بلاده وعلى رأس جيوشه، هل تتدخل فرنسا وقتئذ لحماية الخليفة؟ ولكن هذه الفرضية مشكوك في صحتها. وهل تتردد إنجلترا نفسها في مواصلة تقدمها أو في مهاجمة جيش المهدى؟ واعتقد مثلما خدع كارل أنجر(Karl Inger) باريس فإن عثمان شيخ الدين قد خُدع في الأهمية والقيمة التي اعطاها للعلم الذى سلمه مبعوث منليك للخليفة.

إذا رفع الخليفة العلم الفرنسي أو لم يرفعه فهذا لا يغير شيئاً من مجرى الأحداث ولكنه يسبب في الكثير من المكاتبات والتدخلات قد تكون شديدة اللهجة أو أقل حدة بين الدبلوماسيين الفرنسيين والإنجليز.

المصادروالمراجع:

[1]. Blunt Wilfrid scawen, Gordon at Khartoum, London, 1911, p. 624.

[2]. D.D.F 1ère série, tome 12, n° 411, 23 juin 1896. Cité par Sanderson, G. N, « Emir Sulayman ibn Inger Abdullah » S.N.R, xxxvv, 1954, p. 24.

[3]. Mahdia 1/34, dossier 16 Abyssina,statement of Muhammed Osman Hajj Khalid, ja' Khalifa Abdullahi's emissair to Menelik, The Bani Shangul extrats were sent to the British Agency, Cairo, on22/10/98/.

[4]. Lord Gromer, Neufeld, K; A prisoner of the Khalifa: twelfe years' captivity at Omdurman, London, 1899, p. 246; Yusif Mikha'il, Hayati, Mahdiya 8/9/4, pp. 99-100; Sanderson, G, N, England, Europe and Upper Nile, 1882-1899, Edinbugh, 1965, pp.299.

5. D.D.F. XIV, n°66, M. Hanotaux, ministre des Affaires Etrangères à M. Lebon, ministre des colonies, lettre du 17 février 1898.

إصدارات

الأصداء العالمية للثورة المهدية
دار المصورات للطباعة والنشر ٢٠١٩م

محمد المصطفى موسي(•)

مؤلف الكتاب الذي يقع في ٤٧٢ صفحة هو، طبيب سوداني وقد جمع هذه المادة من ارشيفات الصحف التي دونت الوقائع في زمن حدوثها. وجاءت في خمسة عشر فصلا.

الثورة المهدية مخاض البدايات

"في سوريا مصر والحجاز وكونيا واستنبول وحتي في الهند نفسها يبذل الناس الصلوات والدعوات بحماس شديد لتصعد متجهة الي السماء من اجل نصرة المهدي بإفريقيا حتي لو اجتمع علي عداوة مهدي السودان عبيد السلطة من الامراء ورؤساء الحكومات الحاليين مع نظرائهم من شيوخ الاسلام ذوي العلم حتي لو اعتبر سلطان المغرب المهدي مارق او استنكر مواقفه سنوسي ليبيا ... حتي وان قذفه السلطان عبد الحميد من عرشه بإستنبول بسيل من اللعنات ... فان ذلك لن يغير شيئا من حقيقة مفادها ان جموع وجماهير الأمة الاسلامية في كل تلك الامكنة تبارك ما يقوم به المهدي في السودان "

مقتطف من مقال بعنوان :

Europe Stake in Sudan في صحيفة(Contemporary Review May 1884)

علق المؤلف:

لقد ارتأينا أن نبتدئ ما نحن بصدده بالتجاسر على الخروج بتلك الوقائع وتحريرها الذي لم تبلغ فيه الثورة المهدية عامها الثالث بعيدا من المنهاج السردي الذي يزج بأدق تفاصيلها في "زنازين" القصة التاريخية. وهي الزنازين التي جعلت أقاصيص التاريخ محكومة ببدايات معينة"

. إن المقال الذي أشرنا له اعلاه نشرته تلك الصحيفة المهمة في ذات العام والشهر فما الذي جعل حركة مقاومة سودانية في أرض غزتها قوات محمد علي باشا قبل ستين عاما فأخضعتها لسطوتها بسلاسل القهر والتنكيل ما الذي وقائعها تتسلق الذهن النخبوي في أسواره الحصينة في ضمير صحافة يسار الوسط الذي عبرت عنه تلك الصحيفة من وعي طليعي تجاه القضايا المجتمعية؟ يوفر المقال ذائقة تحليلية معاصرة للتطلع الشعبي نحو انتصارات المهدية على القوى الاستعمارية وما ترتب عليها من نتائج. وما ذهبت إليه تلك

الصحيفة بمبعدة عما صرح به الشيخ محمد عبده في لقاء أثناء زيارته للندن مع صحيفة: Pall Mall Gazette" أن المسرح المصري مهيأ لفكرة تقدم المهدي بقواته شمالاً لتحرير مصر من الهيمنة الاستعمارية وان المهدي يتمتع بتعاطف كبير من الجماهير المصرية لأنهم يرون فيه المخلص المنقذ من الاعتداء الأوربي المسيحي... وأن للمهدي أنصار بالفعل في جنوب مصر لكنه لن يتقدم إلا بعد تحرير الخرطوم".

ولا بدَّ من قراءة تحليلية لاستكشاف مغارات الوعي الشعبي المتمركزة في حركة الثقافة والفنون المصرية. وفي سياق ما ذهب إليه الشيخ محمد عبده أجرى يعقوب صنوع على لسان شخصية هزلية نقداً لاذعاً لتملق شيوخ الأزهر للخديوي توفيق بإصدار فتوى تدين المهدي السوداني وأضاف "... والشهادة لله أنه بطل صنديد وقصده الوحيد أخذ ثأر عرابي واخوانه الذي خانهم توفيق وسلمهم العدو".

قد يكون من الأهمية الإشارة إلى امتدادات الثورة المهدية للذهن الشعبي الإيرلندي الثائر على قبضة بريطانيا مما عبرت عنه صحيفة: United Ireland بقولها: بمنهج تخطي حاجز الدين لتحتشد مع السودانيين في خندق المقاومة، وانبرت الصحيفة لدفع افتراءات الصحافة البريطانية بإلصاق تهمة "ادعاء النبوة" بقائد الثورة السودانية فقالت "بالنسبة لنا هو ليس نبي كاذب بل نعتبره أحد قراء تعاليم المسيح ممن أرسلتهم السماء. إنه هبة لكل الشعوب التي ترزح تحت وطأة المعاناة". وفي الإطار ذاته إشارة صحيفة "العروة الوثقى" لصاحبيها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده للوهن الذي تسرب ببطء لمفاصل جسد الإمبراطورية العثمانية مع تزايد النفوذ البريطاني على مصر وغيرها. وقد أشارت لهذا الوهن صحيفة Irishman المقاومة لبريطانيا بسبب: "إسناد العثمانيين المناصب الكبرى في الدولة لمرتزقة أوربيين وإسناد بحرية جيشهم لجنرال بريطاني".

معركة شيكان .... الأرض تبتلع جيش الغزاة

"لقد كان المهدي على دراية تامة بأهمية عنصر المفاجأة في أرض المواجهات العسكرية. كان له المقدرة من الاستفادة القصوى من الطلائع العسكرية بنفس مقدرته على حرمان العدو من ذات السلاح المهم. خرج منتصرا من كل معاركه الأولى بسبب مقد رته على توظيف سلاح عنصر المفاجأة.... فقد تمكن من إبادة حملة هكس بعنصر المفاجأة": روبرت روس ضابط وأكاديمي أمريكي في كلية القيادة والأركان. جاء هذا التعليق بشأن ما

حدث في الخامس من نوفمبر ١٨٨٣ حين جرت أكبر المواجهات العسكرية بين قوات الثورة المهدية وحملة الجنرال البريطاني وليم هكس في غابة شيكان على مشارف مدينة الأبيض.

اختار الخديوي توفيق وهو واقع تحت سطوة البريطانيين وليم هكس مع صفوة من الضباط الأوربيين لقيادة حملة هدفها سحق الثورة المهدية لكن المهدي حقق انصاراً عسكرياً وشعبياً ساحقاً مستغلاً الجغرافيا والمناخ لصالحه وتخطيطا استراتيجيا لاستدراج العدو لأرض معركة اختار المهدي زمانها ومكانها. تحدث المؤرخ البريطاني فيرجس نكول مؤلف كتاب "مهدي السودان ومقتل الجنرال غوردون" عن هكس فوصفه بأنه ضابط متميز وكان عند تكليفه قوي البنية حسن المظهر وتم تفضيله على ضابط آخر هو فالنتين بيكر بسبب سمعته وانضباطه. أوردت صحيفة لندنية "Loyd's" تقريراً مفصلاً عن حملة هكس في نوفمبر ١٨٨٣ أوضحت السيرة الذاتية لهكس وخبرته الميدانية والقتالية الناجحة في قمع الثورات في شتى أنحاء الامبراطورية في البنغال والهند وعندما جاء إلى القاهرة التقى بالخديوي الذي وعده بحافز شخصي بلغ عشرة ألف جنيهاً استرلينياً إذا قضى على ثورة المهدي. تشكل جيش هكس كما هو معروف من ألبان وشركس ومصريين ومجموعات أوربية وقيادات من البريطانيين. توفرت له تغطية إعلامية إذ اصطحبها فرانك باورمراس جريدة التايمز وفرانك فيتزلي مراسل "ذا غرافك" ومراسل لصحيفة ديلي نيوز الإيرلندية. وقد جاء وصف للمعركة بتفصيلها من كتب المؤرخين الوطنيين ومن الاجانب. قال عنها المؤرخ السوفيتي سيرجي سميرنوف "إن إرهاصات فشل حملة هكس قد أفزعت الحكومة البريطانية لأن هزيمة هكس تعني ضياع السودان بأكمله". وقد كتب الباحث الكندي نليس جونسون "أن الأثر المترتب على خيبة هكس عظيماً جداً إذ استطاعت الثورة المهدية أن تأسر العالم كله وتوافد المبعوثون من بلاد الهند والمغرب والعراق والحجاز وتونس ليسمعوا كلمات محمد أحمد المهدي."

على المستوى الثقافي والشعبي كان لمعركة إبادة حملة هكس موقعا مهما في الوجدان القومي الإنجليزي فكتب الشاعر جورج أبيل في مجموعته الشعرية "غوردون وأشعار أخرى" فنعي في بعض أبياتها الجنرال هكس. وقد أورد الروائي آرثر كونان دويل وصف لحملة هكس في مقدمة لإحدى قصصه بأنها ابتلاع أرضي أكثر مما هي إبادة.

أما على شواطئ الجزيرة الإيرلندية فقد تعاطف القوميون الإيرلنديون مع الثورة السودانية وما حدث في شيكان وقد ترددت أخبار أن مراسل "الغرافك" قد التحق بقوات المهدي وقاتل في صفوفها وقتل في شيكان. وكان المراسل يرسل تقاريراً مشيداً ببسالة قوات المهدي وحسن تسليحهم. وقد تم تخليد ذكر المراسل بلوحة معدنية في إحدى الكنائس وما زالت موجودة حتى اليوم.

وفي فرنسا كتبت صحيفة Le Rapple إن الصحافة البريطانية تحاول إيهامنا أن تلك الهزيمة في شيكان لا تعنيهم وأنها تخص قوات الخديوي وقادته العسكريين، إننا جميعاً نعلم منذ "التل الكبير" ضد العرابيين فإن الإطار العام للجيش إنجليزياً صرفاً وأن اسم قائد الحملة يدل على جنسيته البريطانية، الصحافة تحاول حفظ ما تبقى من وجه البريطانيين.

استمر الاهتمام بهزيمة هكس في الصحافة البريطانية فنشرت صحيفة Forme Times التي تصدر في غرب بريطانيا تقريراً في ٤ يناير ١٨٨٤ ذكرت أنه من الناجين من الحملة وجاء فيه وصف دقيق لمجريات المعركة وقد أبيدت القوة بكاملها ولم يبق إلا ٢٠٠ من المصريين والرقيق الجرحى. كانت الحكومة البريطانية قد تلقت معلومات متطابقة مع ما جاء في التقرير إلا أنه لم يكن معروف مصير من نجا من قوات هكس لكن صحيفة أخرى: Dublin Daily Express أوردت تقريراً أشارت أن المهدي بعد شيكان أوصي بالحفاظ على حياة الأسرى بمن فيهم الأوربيون. وقد جاء في صحيفة "شفيلد ديلي تلغرام" في ١٩ ديسمبر ١٨٨٣تحقيق بعنوان "نهاية هكس باشا قصة يرويها أحد الناجين "أن المهدي أمر بعدم الاجهاز على أي جريح.

أحس المسؤولون البريطانيون بالقلق لما يمكن أن تحدثه هزيمة هكس على سمعة بلادهم مع استمرار ما تكتبه الصحف. إذ كتبت صحيفة فرنسية شهيرة هي Liberre عن هزيمة شيكان ودعت بريطانيا للاعتراف بها بدلاً من الهروب من تلك الهزيمة المؤلمة "إن الهزيمة الأخلاقية على هذه الكارثة تنسحب على بريطانيا العظمي وحدها لأن جنرالات بريطانيا كانوا تحت تأثير أوهام مزدوجة". كما وجهت صحيفة "رابل" السالف ذكرها انتقادات ساخرة لمحاولة الإنجليز للتملص من هزائمهم على يد قوات المهدي. حاولت الصحف البريطانية التعليق على ما أوردته تلك الصحف فكتبت صحيفة London Evening Standard ما يمكن اعتباره اعترافاً إنجليزيا مستتراً وانتقاداً

لموقف الصحف الفرنسية بالقول إن ما يدفعها هو الكراهية لبريطانيا فاجتمعوا على الابتهاج بتلك الضربة القاصمة التي نالت من هيبة بريطانيا وكبريائها. وكتبت صحيفة نمساوية في هذا السياق أن الأمر لم يعد السودان وحده بل قضية مصر. لقد هزت الحركة المهدية موقع الخديوي لو لم يتم تقويته فمن المتوقع أن تنتشر تلك الموجة لكل العالم الاسلامي. وكتبت صحيفة أخرى تصدر من فيينا هي: Tagblatt

توقعاً للنتائج "إن عدم منع المهدي للتقدم نحو مصر سيؤدي لتغيرات بالغة لكل العلاقات الدولية في القارة الأوربية " وأشارت الصحيفة أن عدد من الثوار غادروا طرابلس الليبية في طريقهم للانضمام للمهدي في السودان.

أثارت تلك المخاوف صحيفة Reading Mercury البريطانية فكتبت أن هناك مخاوف جدية ستترب على انتصار المهدي بما يتوقع أن يتلوه من انعكاسات على العالم الإسلامي وأنه من الممكن أن يكون نجاح الثورة المهدية بمثابة رسالة إيجابية تحرض المسلمين على القيام بانتفاضات مماثلة في المنطقة العربية وفارس والهند. وفي اسكتلندا خصصت صحيفةThe Dundee Courier and Argus الصفحة الأولى في ٢٣ نوفمبر لتفاصيل معركة شيكان بعنوان "الكارثة المفزعة في السودان، هزيمة هكس باشا وإبادة جيشه المكون من عشرة ألف مقاتل وحسب رواية أحد شهود العيان أنصار المهدي أبقوا على حياة الجرحى بينهم فرانك باور.

موقعة تحرير الخرطوم ١٨٨٥/١/٢٦

كتبت الصحيفة الإيرلندية The Irishman في أعقاب تحرير الخرطوم لم يكن المهدي هو الذي انكسر على العكس هم أعداؤه الإنجليز هم الذين نالتهم الهزيمة الساحقة ... إن هذه الحرب صارت بلا هدف بعد انتزاع الخرطوم ومقتل غوردون لكن إنجلترا بطبيعتها النازعة نحو السلب والإجرام لم تكن بضربة عسكرية جديدة تحتاج لأي مبررات تسوغ لها غزو أراضي الشعوب.

خيم الحزن العميق على الصحف البريطانية فكتبت صحيفة The Morning Post ضرورة الرد على إهانات الثورة المهدية لبريطانيا بضربة عسكرية جديدة..... لا يمكن ان نتقهقر مديرين ظهرنا للمهدي وقواته دون أن نضحي بسيطرتنا على مصر ودون انتهز دعائم امبراطوريتنا في الهند.

أشارت الصحف إلى الخسائر المالية التي تكبدتها أسواق المال فقد هبطت قيمة السندات البريطانية بما يقدر بثلاثة ملاين جنيه إسترليني، كما ذكرت صحيفة ادنبرة أن بريطانيا تواجه أكبر عملية انفاق في الاقتصاد في حروب السودان منذ حرب القرم في إيرلندا احتفل القوميون بتحرير الخرطوم وحفلت الصحف بالرسوم الكاريكاتورية الساخرة كتبت الصحيفة Connaught Telegraph: في ٧ فبراير ١٨٨٥ "إن اتباع المهدي ذلك الزعيم الإفريقي العظيم يقاتلون للذود عن أراضيهم ومن أجل ترابهم الذي لا يستطيع أي مغامر بريطاني أن يدعي لنفسه ملكية فيه.. إنهم يقاتلون مسلحين بأخلاقهم.. وما يبدو جلياً للجميع فإن كل عاشق للحرية يتمني النجاح لجهود أولئك الرجال الذين يمارسون حقهم المقدس ضد جحافل الغزاة الذين اعتدوا على حدودهم.... نحن نتمنى أن تبقى تلك الظروف دوماً في صالح أولئك الرجال الذين يقاتلون من أجل وطنهم بقدر ما نتمنى أن تتنزل الهزيمة المهينة والكوارث البشعة على القوات الأجنبية الباغية ".

كانت التظاهرات الحاشدة هي تعبير القوميين عن تأييدهم للثورة المهدية حتى في العاصمة دبلن وغطت صحيفة Bury Free Press هذه التظاهرات تحت عنوان "تحايا إيرلندا للمهدي" في ١٤ فبراير ١٨٨٥ امتد هذا التأييد حتى للمسؤولين فخاطب أحد الوزراء هذه التظاهرات. كما أشاد الزعماء بقيادة المهدي والانتصارات التي حققها حتى بعد عدة سنوات لأحداث الثورة.

وقد ظهرت أيضا إشارات إيجابية عن الثورة المهدية في روايات وأشعار بعض الأدباء الإنجليز.

أصداء الثورة المهدية بشبه القارة الهندية

كتب جمال الدين الأفغاني في "العروة الوثقي" أن انتفاضة الهند على الإنجليز في هذه الأيام أقرب، فان خواطر المسلمين من سكانه في حالة هياج شديد بسبب ما يشاع من بينهم من دعوة محمد أحمد المهدي السوداني وما يكمن من أهوائهم من الميل إلى تصديقه وتريد دولة إنجلترا إن تصد المسلمين عن حج بيت الله الحرام حتى لا تصل أخبار محمد أحمد إلى مسامع الهنديين وتورط الإنجليز في مقاومته..." علماً أن اثنين من الجنرالات الإنجليز اللذين لقيا حتفهم في السودان كان لهما دور في إخماد ثورة الهند وهما وليم هكس وشارل غوردون.

نشرت صحيفة "بيرمنجهام ديلي بوست" تقريراً عن مراسلها في "كلكتا" أشار إلى انتشار منشورات الثورة المهدية بين مسلمي الهند خاصة المتعلقة بنشاط عثمان دقنة في الشرق ومقاومته القوات البريطانية في سواكن. وقد وصلت هذه الأنباء إلى مناطق تبعد آلاف الأميال عن السودان إذ أشارت الصحيفة الاسترالية Darling Downs Gazzette في خبراً بعنون: "المهدي يثير الاهتمام بالهند" ووضعت الشرطة الاستعمارية يدها على كميات هائلة من الوثائق اتضح أنها منشورات تتعلق بالثورة المهدية. وقد كتبت العروة الوثقى" إن هذه الأخبار وصلت إلى لاهور وحسب ما أشار أحد أصدقاء الصحيفة ما قاله مواطن هندي "حتى لو كان محمد أحمد دجالاً وجب علينا بالضرورة أن نعتقده مهدياً وألا نفرط في شيء مما يؤيده". وقد وجد رجال الشرطة في منطقة "سملا" ملصقات على جدران المدينة تدعو المسلمين الاستجابة لدعوة المهدي والقيام بنصرته وتتوقع الصحيفة هبة شعبية ضد الإنجليز في الهند. وقد نقلت الصحف البريطانية التأثير الذي أحدثته الثورة المهدية في الهند فكتبت The Morning Post في مقال بعنوان "الهند ... والمهدي" أشارت إلى المنشورات التي وجدتها الشرطة. وبعد تحرير الخرطوم ومقتل غوردون كتبت صحيفة لندنية خبراً يؤكد وصول عملاء المهدي إلى "كلكتا". وكتب مؤرخ بريطاني زار الهند في ١٨٨٤ أن الهنود يأملون في توالي انتصارات المهدي حتى يتم طرد الإنجليز من مصر. وقد كتب المؤرخ السوفيتي سيرجي سمرنوف أن المهدية كثورة شكلت خطراً مقلقاً أصدع رؤوس البريطانيين وإدارتهم الاستعمارية في الهند وأن اتباع دولة المهدي في الهند شرعوا في نشر وجهة نظرهم في الصحف.

وفي جنوب شرق آسيا كتبت صحيفة في سنغافورة Straits Times في ١٩ نوفمبر ١٨٨٧ "إن ما يتوقع أن يفعله العرب أنهم سيسلكون نفس مسلك الثوار السودانيين الذين استحوذوا على تعاطف كل عربي مسلم حقيقي وسينهضون لمقاتلة القوات الأجنبية.... وما يرمى إلى مسامعنا أن القبائل العربية قد أعربوا عن تعاطفهم مع المهدية كانت صحف القوميات في سنغافورة أكثر اهتماما بتقصي أخبار الثورة المهدية مثل "التاميل والملايو"، وقد شكل قدوم أحمد عرابي منفيا بواسطة الإنجليز إلى جزيرة سيلان مصدراً مهما للحصول على معلومات عن مقاومة المهديين لبريطانيا وتزويد الصحف بها. وأشارت الصحف أن المهدي الذي لديه ٣٠٠ ألف مقاتل لن يتأخر عن السعي لاجتاح مصر.

كانت الصحف الناطقة بلغة "التاميل" أكثر صحف سنغافورة اهتماما بتقصي أنباء الثورة المهدية ومواجهاتها مع القوى الاستعمارية وأن كان هناك صحف أخرى خاضت في الموضوع ويعتقد أن هناك عوامل سياسية وراء هذا الاهتمام. بل أشارت إحدى الصحف "أن عرابي باشا كان علي معرفة شخصية تامة بالقائد المهدوي عثمان دقنة" وبصرف النظر عن مطابقة المعلومة مع الواقع فإن ما يجهر به عرابي يكسب موضوعية للقاري. أما صحيفة Singai Nesan فقد نشرت أكثر من خمسين موضوعاً عن الثورة المهدية بإسهاب في ما بين ١٨٨٧و١٨٨٩ إضافة إلى ما أوردته صحيفة The Straits Times من تفاصيل دقيقة عن المهدي ومولده في دنقلا وأسرته ومسيرته التعليمية وانخراطه في خلاوي الغبش وانضمامه لحلقة الشيخ محمد شريف نور الدائم ومصاهرات المهدي مع مشايخ القبائل.

وبعد هزيمة هكس نشرت الصحيفة مقالا بعنوان "قوات هندية إلى مصر" أشارت إلى احتمال إرسال قوات من الهند بعد إبادة حملة هكس وقد أوردت أسماء الضباط الذين اصطحبهم هكس وهم بريطانيين واثنين من الألمان. وقد أشارت أن المهدي الذي يحتكم على ٣٠٠ مقاتل لن يتأخر لاجتياح مصر كلها ولن يكون ما يمنعه ما لم تتدخل بريطانيا وهذا التدخل يكون أكثر فعالية عن طريق إرسال قوات إلى سواكن. "وأشارت إلى التأييد الذي يمكن أن يجده المهدي في مصر بالقول" إن القوى الوطنية في مصر هي الآن أبعد ما تكون عن الفناء فهم يعيشون حالة تعاف كامل بعد هزيمة "التل الكبير".

وعند ابتعاث غوردون إلى السودان نقلت عنه قوله إن الخطر من "انتصارات المهدي لا تواجهه بريطانيا وحدها لقد هيجت الأوضاع في الجزيرة العربية وسوريا وانتشرت الملصقات في دمشق وفي حال استسلام شرق السودان للمهدي ستتجه القبائل العربية على جانبي البحر لحمل السلاح ضد بريطانيا.

معركة كرري.. الوقائع والأصداء العالمية

كتب دبلي ستيفنس مراسل حربي بريطاني من أرض المعركة "لقد كان هذا اليوم آخر أيام المهدية ولكنه كان بحق أعظمها على الإطلاق.. لم يتراجع العدو قط.. لم تكن كرري معركة.. بل كانت حادثة إعدام أبطال. إن جاز لي أن أقول إن قواتنا قد بلغت الكمال فلا بد أن أقر بأن المهدويين بروعتهم قد فاقوا حد الكمال. لقد كان جيشهم في كرري من أعظم وأشجع الجيوش التي حاربناها.

طوال مواجهاتنا الطويلة مع المهدية. كان دفاعهم مستميتاً عن إمبراطورية شاسعة أفلحوا للحفاظ عليها لفترة طويلة. وتصدى لنا حملة البنادق ببنادقهم المهترئة وذخيرتهم المحلية الصنع متحدين بذلك أقسى أنواع الموت بفعل الآلة الحربية الياطشة التي صنعها الإنسان..."

درج المؤرخون الغربيون تسمية معركة كرري بمعركة أمدرمان وقد استحوذت على قدر كبير من الدراسات والأبحاث حركتهم النزعة الاكاديمية المحايدة لمعرفة ما حدث بالضبط في ميدان المعركة. وقد تم الكشف عن روايات مراسلين حربيين لم تظهر للعلن إلا بعد أكثر من مائة عام. كانت معركة كرري من أكثر معارك القرن التاسع عشر التي حظيت بتغطية إعلامية عبر مراسلين حربيين بينهم ونستون تشرشل و ج ستفنسون مراسل الصحيفة الفرنسية "الأزمنة" ويبرر كثافة الإعلام بأنه رغبة من بريطانيا للانتقام من قتلة جنرالاتها. وقد سجل ونستون تشرشل أول المواجهات مع قائد استخبارات المهدي الذي أوقع عدد من جنود الجيش الغازي قبل أن ينسحب سليما. وقد دون شرشل عدد من المواجهات العسكرية نشرها لاحقا في كتاب ترجم بعنوان "حرب النهر". أشار إلى أنه دون كل شيء شاهده أمام عينيه فجاء وصفه لرايات المهدية وما حملته من سلاح وهؤلاء هم الذين حطوا حملة هكس. وقد جاءت رواية مطابقة من المؤرخ "وليم رايت". وقد كتبت صحيفة بريطانية هي Bradford Daily Telegraph

"إنه من المستحيل على كل من شاهد تلك الوقائع أن يكون محصناً ضد التأثر بما أظهره المهدويون من شجاعة يطولية. لحظة بلحظة كانت جموعهم تتناثر وتعيد صفوفها للتقدم نحونا... كان امراؤهم يتقدمون للأمام".

السودان ٢٠٢٥ م تقويم المسار وحلم المستقبل
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

تأليف: أ. د. كامل إدريس

عرض: أ. د. عبد العزيز محمد موسى(•)

مقدمة:

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في القاهرة عام٢٠١٦م للبروفسير كامل إدريس، تخرج في جامعة الخرطوم، كلية القانون مرتبة الشرف، وتخرج في الوقت نفسه، في جامعة القاهرة، حائزاً على إجازة في الفلسفة " مرتبة الشرف"، ثم حصل على درجة الماجستير في القانون الدولي من الولايات المتحدة الأمريكية، ثم حاز على الدكتوراة في فلسفة القانون في جامعة جنيف بسويسرا، وفي عام ١٩٩٧م انتخب مديراً عام للمنظمة العالمية للملكية الفكرية، وأميناً عاماً للاتحاد الدولي لحماية الأصناف النباتية الجديدة، وفي العام ٢٠٠٣ م تم انتخابه للمرة الثانية مديراً عاماً للمنظمة العالمية للملكية الفكرية.

أصدر كامل إدريس، مجموعة من الكتب والإصدارات والأبحاث والمقالات العلمية.

السودان ٢٠٢٥ م " تقويم المسار وحلم المستقبل".

يبدأ الكتاب بمدخل من أقوال المؤلف

- سيادة القانون هي ضمير الدولة الناجحة.
- أصغر الدول يمكن أن تكون أقواها بسيادة القانون.
- الأحداث الكبرى، كماء النهر تمر دون أن تعود مرة أخرى.
- الحرية هي الرئة النقية التي يتنفس بها المجتمع.
- كلما تضامن الناس لبناء الدولة، كلما أسرعت خطى نهضتها.
- الحصن الأخير الذي لا يمكن اختراقه هو ثقافة الأمة.
- كل صفحة في تاريخ الأمة لها عنوان.
- من المستحيل استخدام القوة ضد طبيعة التغيير.
- المشروع الوطني الناجح هو جسر كبير، مداخله التي تحتاج إلى تغيير فوري، هي الثروة والسلطة والهوية والاختلال التنموي.
- الحكم الراشد يقاس بالعدالة الاجتماعية.

(•) أستاذ التاريخ الحديث كلية العلوم الإنسانية جامعة بحري

- ضربة البداية لإنقاذ الدولة الفاشلة، هي مؤشرات التنمية البشرية من الصحة والتعليم والدخل والفقراء الناشطين اقتصادياً من لهم قدرة على الإنتاج.
- من أهم أمراض الدولة الفاشلة: الإرث السلطوي والمعالجات السطحية والعرفية، والحوكمة المعاقة وشلل القيادة وتسلط الأجهزة الأمنية والفساد البائن وانعكاس مظاهر الفقر في الطرقات، واغتصاب الأطفال وتهميش الشباب والظلم المتراكم، وانهيار المؤسسية وانحطاط الخدمة المدنية وانكسار القضاء وامتلاء الأمكنة بصافرات قوافل المسؤولين، وانعكاس مظاهر العطالة والفقر والتسول على الشوارع، ثم وهم الحاكم بالفوز في انتخابات قادمة.

جاء في رسالة الكتاب ضرورة إثبات عشر مسائل، ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

المسألة الأولى: ضرورة التوثيق للحادثات التاريخية المهمة في تأريخ السودان المعاصر بهدف استلهام الدروس وتدارس العبر.

المسألة الثانية: امتلاك السودان لأخصب الأراضي وأثمن المعادن وأطول الأنهار وأعظم الثروات وأنسب المواقع الإستراتيجية على خارطة الدنيا وأقدم الحضارات وأكرم البشر، وهو ما يستوجب بناء خطة إستراتيجية متقنة للخروج من النفق والانطلاق بخطى ثابتة، آمنة وواثقة لتحويل حلم المستقبل إلى واقع.

المسألة الثالثة: الضرورة العاجلة لوقف الحروب الدائرة والحرائق المشتعلة والنزاعات المستمرة، والفتن الظاهرة والباطنة والصراعات السطحية والأثنية غير المبررة، والقبلية المدمرة، للتفرغ لبناء الدولة ولحاق قطار التنمية والنهضة المرتقبة من خلال مشروع وطني تؤمن فيه الحريات العامة ويعكسه دستور توافقي للبلاد.

المسألة الرابعة: ضرورة الاتفاق على نظام للحكم يتواءم مع تاريخ الوطن، وتركيبته الاجتماعية والاقتصادية، وأطره السياسية.

المسألة الخامسة: الأنسان محور التنمية.

المسألة السادسة: العدالة الاجتماعية هي صمام أمان المجتمع وجسره الواقي وحصنه المانع ثم تأتي القناعة بضرورة الإصلاح الإيجابي.

المسألة السابعة: الضرورة لإنفاذ أهداف الألفية وهي تتلخص في توجيه جهود المنظمات العاملة في مجال التنمية، للقضاء على الفقر المدقع والجوع، وتحقيق التعليم الابتدائي الشامل، وتشجيع المساواة بين الجنسين وتمكين النساء من أسباب القوة، وتخفيض معدل وفيات الأطفال وتحسين صحة الأمهات ومكافحة جميع الأمراض.

المسألة الثامنة: أهمية تصميم مشروع وطني يعني بوضع استراتيجية تسويقية للسودان وتحسين صورة السودان السالبة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة الناجمة عن الحروب والاقتتال والصراعات القبلية والإثنية والفساد وغياب الشفافية وسوء الإدارة.

المسألة التاسعة: هي أن هوية السودان الوطنية هي الوعاء الشامل الذي يعلو على الهويات الإثنية والثقافية، وهذا شرط مسبق لإقامة الدولة الوطنية، على أسس ومبادئ واقعية تعترف بالتنوع كمنهج حياة.

المسألة العاشرة: الاستفادة من الدروس والعبر وتجارب الأمم والدول لرسم وتحقيق حُلم المستقبل.

وفي افتتاحية الكتاب، أشار المؤلف إلى أن حظ أنظمة الحكم المتعاقبة على السودان منذ الاستقلال في النجاح والإخفاق قد جاء متفاوتاً، بمقاييس القدرة المنجزة وبسط الحرية وتحقيق السلام والديمقراطية والتنمية. ولكن كثرة الإخفاقات المبددة للآمال في إقامة نظام حكم قادر ومستقر دفعت إلى اليأس من الحاكمين.

جاء الباب الأول بعنوان السودان بين الثابت والمتغير تناول الموقع الجغرافي للسودان والتضاريس والمناخ والغطاء النباتي وأيضاً تناول أهمية السودان الإستراتيجية والجيوبولتيكية، كما تناول الهوية الوطنية التي تستخدم لتوصيف مفهوم الإنسان لفرديته وعلاقته مع الجماعات.

وهناك تجارب دول عديدة قد حسمت قضية الهوية لصالح الأمة، لم تعد قضية الساعة التي تشغل بال المجتمع أو تؤدي إلى صراعات قبلية أو أثنية أو ثقافية، في السودان يجب الاستفادة من هذه الدروس الناجحة، بل يجب أن يؤدي الاجماع الوطني حول الهوية السودانية إلى أن تصبح الهوية الوطنية من الهوية الجامعة مع الاعتراف الايجابي القصدي بالتنوع وتقنينه في دستور البلاد، فتصبح الهوية الوطنية هي الوعاء الشامل الذي يعلو على الهوية الثقافية أو الأثنية، فلا يجوز أن تكون قضية الهوية أزمة تقعد الأمة، ولا يجوز للدولة عبر أجهزتها أن تساهم في تعميق المشكل مثل ما يحدث في السودان عند الحصول على الرقم الوطني "البطاقة الشخصية" والتحقيق الإجرائي الذي يسبق منح البطاقة، فالإجراء نفسه عبارة عن أسئلة واستفسارات عن القبيلة والحالة الأثنية من شأنها أن تعمق الشرخ الاجتماعي حول موضوع الهوية.

وحول أثر التحولات الدولية على السودان، فقد انعكست بصورة أو أخرى على محيط السودان الأفريقي والعربي، لإحداث مجموعة من المتغيرات والتطورات الاقليمية على أرض الواقع، وفي المفاهيم المرتبطة بعلاقات دول الجوار والاقليم.

وحول بناء الدولة السودانية الحديثة، فهو في حوجة إلى ماعون فكري متنوع يؤسس على نهج ذكي ودستور ثابت للبلاد يقوم على فهم متقدم للواجب الوطني وفهم شامل للواقع الاجتماعي الراهن ويزاوج بينهما. كما تقوم على فهم مستنير للمشترك الإنساني الذي يدفع استحقاقات التعددية، كحق لكل مواطن ما دام ينأى عن العنف، ويلتزم بالمساواة في المواطنة، أما نظام الحكم والنظام السياسي فيجب أن يقوم على المشاركة، والمساءلة والشفافية، وسيادة حكم القانون، ويراعى توازناً يفرضه الواقع الاجتماعي يهزم الاستقطاب بالتراضي، ثم يأتي المشروع الاقتصادي التنموي، الذي يوائم بين محاربة الفقر وحماية الاقتصاد الحر ذي الأهداف العدلية ويعمل بجد على التخلص من أن نكون مجرد أمة مستوردة للقمح ومستهلكة للتقنيات الجديدة والمتجددة، بل منتجين ومصدرين لهما. من الأجدى تدارس الاقتصاد التعاوني، وتأهيله كنموذج يمكن الاستعانة به في السودان.

حمل الباب الثاني عنوان تاريخ السودان السياسي والمعاصر، وهو عبارة عن دراسة تحليلية نقدية لأهم الحوادث والمواقف التي شكلت تاريخ السودان خلال هذه الحقبة، ومستخلص الدروس والعبر المستفادة من مسيرة الحركة الوطنية، وهو انتقاء للمؤثر من وقائع تاريخ السودان المعاصر واستخلاصاً للدروس والعبر.

وبدأ بالحديث عن المقاومة والمواءمة ويعني بذلك الحركات الوطنية الأولى، ثم نشأة النخبة السودانية، تشكل الحركة الوطنية ونشأة الأحزاب السياسية السودانية، التنظيمات الفئوية والجماهيرية ثم التأهب لاستقلال السودان، التطور السياسي بعد الاستقلال، الفترة البرلمانية الأولى، نظام الفريق عبود ١٩٥٨-١٩٦٤م، الفترة البرلمانية الثانية "الديمقراطية الثانية ١٩٦٤-١٩٦٩م، حكومة مايو "١٩٦٩-١٩٨٥م"، المفاصلة الدامية يوليو ١٩٧١، مرحلة جمع الصف الوطني "١٩٧٢-١٩٧٧م"، مشكلة الجنوب، لمحات عن التنمية ١٩٧٧-١٩٨٥م، الانتفاضة الشعبية إبريل ١٩٨٥م، الديمقراطية الثالثة "١٩٨٦-١٩٨٩"، حكم الانقاذ، نظام الانقاذ الطموحات والاخفاقات.

في نهاية الباب الثاني يلخص الممارسة السياسية اليوم في النقاط الآتية:

- إدارة البلاد بلا دستور دائم يحكمها وخضوع الدستور المؤقت الذي يحكم البلاد بموجب اتفاقية السلام الشامل "٢٠٠٥م" لتعديلات لا يبدو انها ضرورة أو عادلة أو حتى منطقية.
- حزب سياسي واحد "المؤتمر الوطني" يتمدد على الساحة السياسية مستقلاً إمكانات الدولة للسيطرة على العمل السياسي.
- ظهور أحزاب سياسية قائمة على أسس أثنية بحتة وهي ظاهرة خطيرة.
- تخوين وتجريم كل جهد وطني يهدف إلى لم شمل أهل السودان وتوحيد كلمتهم في وجه التحديات التي تواجه البلاد.
- غياب دور البرلمان كجهة تشريعية ورقابية.
- عدم احترام حقوق الإنسان الأساسية.

وفي الباب الثالث الذي كان بعنوان "الدروس والعبر" أشار في مقدمته إلى الأثر الذي تركته الصحف والدوريات في توحيد الرؤى المشدودة للتخلص من الاستعمار، وتحقيق حرية الوطن والمواطنين. ولما كانت الأحزاب الجامعة أو المتعددة هي أدوات صنع الأفكار والبرامج ومناهج تنزيلها على أرض الواقع، فأن المتأمل لمسيرة الوطن، بعد الاستقلال، يرى أن التشكيلات السياسية التي قامت، لم تكن أحزاباً بالمعنى الكامل مثل تلك التي نشأت في أوروبا وأمريكا الشمالية وأفريقيا وأسيا وأمريكا الجنوبية. هناك أحزاب قامت على أسس فكرية، جامعة في عضويتها، وبسند القوى الاجتماعية التي اتجهت إلى خدمة مصالحها وبرامج عملية تعبر عن أفكارها، ومعتقداتها وتوجيهها إلى خدمة المصالح أو الدفاع عنها.

الأحزاب السودانية، نشأت على تحالفات قبلية وطائفية في الأساس، مع انضواء بعض المثقفين في صفوفها، وكان صوت القبيلة أو الطائفة هو الأعلى ووزنها هو الأرجح في الصراع على السلطة، لذا نجحت في كثير من الأحيان في توظيف المثقفين في خدمتها، ولما اتجهت القوى الحديثة التي لم تسع أفكارها وطموحاتها صفوف الأحزاب التقليدية، اسلامية أم عروبية، أم أفريقية، فأنها نشأت متأثرة بالأحزاب التقليدية في كثيراً من أوجه طرحها، حتى لا تستفز الجمهور العريض الذي تتطلع إلى العمل في صفوفه واجتذابه إليها.

ومن الدروس التي لم نتعلمها بصورة كافية أن التنوع الثقافي والتنوع الاثني حقيقة وان الحقائق لا يمكن تجاوزها بالأماني والمحسنات اللفظية، دون منحها حقها ومستحقها وأن

حقائق الواقع لها قدرة أصيلة في فرض وجودها والتعبير عن ذاتها بالتي هي أخشن أن لم تعامل بالتي هي أحسن.

من العلل التي قعدت بالأداء الوطني، الحروب الأهلية والتآمر الأجنبي والخدر السياسي في وجه المشكلات والتحديات.

تم تلخيص الدروس والعبر المستفادة في عدة دروس أوجز المؤلف عناوينها في النقاط الآتية:

- الوحدة قوة وبها تتحقق الانجازات الكبرى.
- الرؤية الشاملة لبناء الوطن مسألة حتمية.
- الاتفاق على نظام الحكم ضرورة وجود وتقدم التنوع واقع السودان والتراضي منهج أهله وحسن إدارتهما صمام أمانه واستقراره.
- الديمقراطية قناعة ونفاذها بالممارسة.
- الدين والسياسة.
- ترهل الحكم الاتحادي أضر بتطبيقه.
- الأحزاب السياسية اداة العمل الوطني والتغيير.
- ديمقراطية الأحزاب مرتكز ديمقراطية الدولة.
- تسيس الخدمة المدنية أضعف أداء الدولة.
- القول لا يقوم مقام العمل.
- التعامل مع السياسة بجدية دفع لنهضة الأمة.
- المثقفون حداة الركب وضمير الأمة.
- المنظمات الأهلية أداة فاعلة في تعزيز الديمقراطية وتحقيق التنمية.
- القطاع الخاص قوة دفع وبناء.
- التعاون دور هام في التنمية.
- تنشئة الأجيال القادمة استثمار في المستقبل.
- تنمية الموارد البشرية شرط لرفع الكفاءة وترقية الأداء.
- تعزيز مكانة المرأة إعلاء لواقع الأمة.
- التعليم حجر الأساس في التنمية المستدامة والسلام والاستقرار.
- التعليم الفني واسطة العقد التنموي.
- الاهتمام بأصحاب الاحتياجات الخاصة دليل وعي وتحضر.

- اقتصاد العصر قائم على العلم والبحث العلمي والتقانة.
- النقلة من الثقافة الورقية إلى الثقافة الإلكترونية من لوازم الطفرة المرتقبة.
- القطاع الزراعي دعامة اقتصاد وطني.
- الصناعة والطاقة والتعدين من ضرورات التنمية الشاملة.
- شبكات المواصلات والاتصال شرايين التنمية والبناء.
- التنمية الريفية الشاملة مفتاح التقدم والاستقرار.
- الحفاظ على البيئة وترشيد استخدام المياه من مقومات حياة الانسان.
- تنمية السياحة ارتباط بالوطن وتراثه ودعم الاقتصاد.
- قومية الاعلام وحيويته تعزيز للحرية والحوار.
- السياسة الخارجية المتوازنة معبر السودان إلى التعاون القويم مع العالم.

تناول الباب الرابع "جذور الأزمة السودانية" وأشار بأنها تنحصر في موضوع النزاعات ما بين مناهج سياسية واقتصادية واجتماعية، وتنشأ النزاعات عادة عندما تهدد قيم ومصالح المجموعات العرقية والسياسية والثقافية من جماعة أخرى وتتنافس أو تتناقض المصالح الأيديولوجيا داخل المجتمع ويحدث الانفعال والشعور بالامتعاض الاجتماعي، فيتحول التناقض إلى نزاع.

ويكاد يجمع المؤرخون والمهتمون والدارسون للأزمة السودانية على أسباب رئيسة باعتبارها جذور الأزمة السودانية الراهنة والتي ظلت تؤثر سلباً على استقرار السودان منذ نيله استقلاله في عام ١٩٥٦م ولعل من أهمها أربعة أسباب:

١- السياسة الاستعمارية.
٢- أخطاء الحكومات المتعاقبة منذ الاستقلال وفشل النخبة وغياب الرؤية السياسية النافذة والمتكاملة.
٣- صراع الهويات والتنوع العرقي والثقافي والديني.
٤- التفاوت التنموي.
٥- **الباب الخامس** "النزاعات المسلحة: محاولات الحلول والمبادرات المحلية والاقليمية والدولية. أشار إلى أن مشكلة السودان لا يمكن حصرها في مشكلة الجنوب، بل مشاكل تهم معظم ارجاء البلاد، وبدأت تلك المشاكل تطفو إلى السطح قبل نيل البلاد لاستقلالها ولكنها تفاقمت خلال العقود الخمسة الماضية

بسبب سياسات الحكومات المتعاقبة، يعود جل تلك المشاكل إلى تهميش الأقليات العرقية واختلال التوازن الانمائي بين المركز والإقليم وفرض المركز لسيطرته وعدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية بين المجموعات السكانية المختلفة، وقصور بنيات الحكم الاقليمي، وضعف الولايات من عدة نواحي، ومن جانب آخر لعبت العوامل العرقية والدينية والثقافية دوراً سلبياً ذلك أن السلطات الحاكمة أو القوى المعارضة والحركات المسلحة تعمل على تأجيج هذه الفوارق وتوظيفها كوسائل للتعبئة والمقاومة.

وأيضاً فشل السودان في التعامل مع مشكلة التنوع والتعددية ذلك أن القيادات السياسية تراهن على المجموعات القبلية والطائفية العرقية لكي تعزز قواعدها الاجتماعية والسياسية وبناء الدعم السياسي، بل للانفراد باستغلال المناصب الحكومية والادارية للاستفادة الذاتية من موارد وثروات البلاد.

وما لم يتم العمل على تقويم الظلم التاريخي الذي وقع على قطاعات مضطهدة من الشعب والتفاوض على عقد اجتماعي جديد ضمن إطار إعادة هيكلة سياسية وخلق بيئة تفضي إلى خلق نظام سياسي عادل يستوعب مصالح الجميع، فسوف تهيأ البيئة الكلية لنمو خلافات وصراعات جديدة.

وفي هذا الجزء تناول المؤلف بإسهاب مشكلة جنوب السودان، منذ مؤتمر جوبا في ١٢ – ١٣ يونيو ١٩٤٧م، إلى أن تم الانفصال في عام ٢٠١١م وما أفرزته اتفاقية نيفاشا من سلبيات في عدة محاور ومناطق، مثل جنوب كردفان وجنوب النيل الأزرق وشرق السودان، ودارفور.

وأشار إلى الجهود الاقليمية والدولية وبعض المبادرات من أجل الوصول إلى حل لتلك المشاكل.

وأشار بأن: لكي لا تتكرر النزاعات لابد من حقن جيوب الاحتقان بشكل نهائي، يكون ذلك بتنفيذ برامج إعادة الاعمار والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والاصلاح السياسي، وترسيخ علاقة المواطنة بين الجماعات العرقية والدينية والثقافية المختلفة، لتتيح جميعها سلاماً ووفاقاً اجتماعيين.

في الباب السادس تحت عنوان "رؤية المستقبل" تناول العديد من الموضوعات كرؤية للمستقبل، استدامة السلام، الالتزام العملي بكل ما ورد في اتفاقيات السلام، إشاعة ثقافة السلام، إعادة تأهيل المناطق التي تأثرت بالحرب وتنميتها، بناء الثقة استدامة

السلام وجعل الوحدة ممكنة، نظام الحكم، الرؤى الصحيحة والتطبيق المتعثر، نظام الحكم اللامركزي، الخيار الاتحادي، الحكم الاقليمي، فعالية المشاركة في صنع القرار واتخاذه، المجالس القومية للتخطيط، المجالس القومية المتخصصة، منظمات المجتمع المدني، أساسيات ينبغي الاتفاق عليها، ترسيخ الوحدة الوطنية، أسس التوحد، تأسيس الديمقراطية واستدامتها، دور المثقف، القطاع الخاص، الأحزاب السياسية، دور المؤسسة العسكرية في السياسة السودانية.

في الباب السابع: "السودان من قائمة الدول الأقل نمواً إلى مصاف الدول سريعة النمو". ذكر المؤلف ان في مستهل الألفية الجديدة عقدت في سبتمبر من عام ٢٠٠٠م قمة الألفية بمشاركة "١٩١" من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة من ضمنها السودان "١٤٧" دولة ممثلة برؤسائها ورؤساء حكوماتها، اتفقوا على ضرورة تخليص الانسان من مظاهر الفقر والتخلف، وبذل الجهود لتعزيز مبادئ الحرية والكرامة ونشر السلام والرفاهية بين الشعوب. وتحقيق التنمية البشرية بهدف تطوير قدرات البشر وتوسيع خيارات الحياة أمامهم. ولتحقيق ذلك اعتمدت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ما يسمى بإعلان الأمم المتحدة بشأن الألفية والذي يرتكز على ست من القيم والمبادئ الأساسية ذات الأهمية الحيوية للعلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين:

- الشرط الأول: الحرية.
- الشرط الثاني: المساواة.
- الشرط الثالث: التضامن.
- الشرط الرابع: التسامح.
- الشرط الخامس: احترام الطبيعة.
- الشرط السادس: تقاسم المسؤولية.
- الشرط السابع: السودان وتحقيق الثمانية أهداف الانمائية.
- الشرط الثامن: الرؤية المستقبلية للسودان كدولة موحدة.

الباب الثامن، تناول التنمية الشاملة المتوازية المستدامة، وفيها أشار بأن منظمة التجارة العالمية ومن خلال مؤتمراتها، أظهرت أن الهوة ما تزال عميقة بين مواقف الدول الصناعية الغنية والدول النامية، إذ أن رسل العولمة يبشرون بالفرص الواسعة للعولمة، مع عدم انكارهم للتحديات، مما أغرى الكثير من الدول والاقاليم إلى محاولة الاندماج في النظام الاقتصادي والتجاري العالمي الجديد.

أن متطلبات الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية تمثل عقبات عسيرة للكثير من الدول النامية والدول الأقل نمواً.

ولتحقيق الغاية التنموية الكبرى وتعظيم دورها في تغيير الحياة وتطويرها وتعزيز مسارها ينبغي الوفاء بمتطلبات أساسية تكون قائمة على المعرفة، وأن يكون مدخلها التنمية الانسانية، وان تكون سعادة الانسان ورفاهه غايتها المقدمة وهذا يتطلب التركيز على مجالات أساسية أهمها استئصال الفقر وتحقيق التنمية الريفية الشاملة في كل انحاء البلاد، والاهتمام بالصناعات الثقافية والعلم والثقافة والمعلومات والمعلوماتية والتقانة والتنقيب الذكي والأصناف النباتية الجديدة ولا يتحقق ذلك إلا على أساس من الاعتماد على الذات والتفتح الرشيد على الآخرين، وصياغة ذلك كله في استراتيجية للتنمية الشاملة القابلة للاستدامة.

ووضع بعض التي يتم الاعتماد عليها لتحقيق التنمية المستدامة، التنمية الانسانية، مركزية دور المعرفة في التنمية، التعليم، مرحلة التعليم قبل المدرسي، مرحلة الأساس، التعليم المستمر، المرحلة الثانوية، التعليم العالي، البحث العلمي والتقانة، استراتيجية لمستقبل التعليم في السودان موجهات أساسية، العناية الصحية، العمالة، استئصال الفقر، التنمية الريفية، الاعتماد على الذات، الصناعات الثقافية التقليدية، المعلومات والمعلوماتية والعلم والتقانة، تطوير البُنى الأساسية، التخلص من عبء الدين الخارجي، الاستراتيجية التنموية الشاملة.

وقام بشرح وافي للأركان المذكورة أعلاه بشيء من التفصيل واختتم هذا الباب بأن هذه رؤية استراتيجية، إذا ما نفذت الأهداف الواردة فيها يمتلك المجتمع السوداني وأهل السودان قاطبة مقومات النهضة وتتوافر الأسس والمرتكزات المتينة التي تجعل التنمية فيه شاملة متوازنة وقابلة للاستدامة، وتشكل جسراً يمكن السودان وأهله من الخروج من كنف الدول الأقل نمواً إلى مصاف الدول المتقدمة الممسكة بحضارتها وجذورها وقيّمها والمتفتحة حواراً وتعاوناً على الناس من حولها.

الباب التاسع حمل عنوان "التراضي وإعادة البناء نماذج دولية"، في هذا الباب طرح بعض نماذج لعدد من الدول التي عبرت، ويمكن للسودان أن يحذوا حذوها.

- ماليزيا: السلام الاجتماعي والنماء الاقتصادي والديمقراطية الراشدة.
- جنوب أفريقيا: التسامح والمصالحة والتعاهد.
- دولة الأمارات العربية المتحدة: ثنائية الأصالة والمعاصرة.

- التجربة الهندية: الدور الريادي لصناعة المعلومات في الاقتصاد الحديث.
- معجزة النهضة اليابانية الحديثة "تحديث الأصالة وتأصيل الحداثة".
- سويسرا: نظام الحكم الاتحادي والديمقراطية المباشرة.
- كندا: الملاءمة بين التعددية واستقرار الحكم.

يتضح مما تقدم في هذا الباب، أن القراءة المتأنية لهذه التجارب، والاستئناس بها في تحديد الرؤية الاستراتيجية لبناء المستقبل أمر بالغ الأهمية في سعى السودان للتفتح على العالم واستصحاب الدروس والتجارب الناجحة في كلياتها أو في جزيئاتها- تلك التي تتناسب شكلاً ومضموناً مع واقع السودان- أو تلك التي يمكن تكييفها مع واقع المستقبل الذي نريد التأسيس عليه.

وكان الباب العاشر، ه,, ., تناول الضرورة الواجبة لنقلة السودان إلى مصاف الدول المتقدمة، حيث أشار إلى امتلاك السودان إلى إمكانيات ضخمة للاستثمار في قطاع الزراعة، ومساحات شاسعة من الأراضي الزراعية الصالحة للزراعة، تقدر بحوالي ٢٠٠ مليون فدان كما أن هناك مساحات مماثلة، قابل للإصلاح الزراعي بالإضافة إلى الغابات.

تتوفر في السودان العديد من فرص الاستثمار في مجال الصناعة، حيث توجد مدخلات لتصنيع المنتجات الزراعية مثل صناعة السكر وصناعة الغزل والنسيج والصناعات الغذائية.

وتوجد فرص الاستثمار في صناعة الاسمنت ومواد البناء والصناعات الكيماوية وصناعة التغليف والتعبئة من الزجاج والبلاستيك والمواد المختلفة، بالإضافة إلى الاستثمار في قطاع التعدين والبترول والصناعات البترولية.

وهناك أفكار ومشاريع وأنشطة ذات عائد كبير، ويمكن أن تساهم مباشرة في إحداث النقلة الاقتصادية المرتقبة لعبور السودان إلى مصاف الدول المتقدمة.